القراءاتُ الشاذةُ وأثرُها في فهمِ القرآنِ
قراءةُ ابن مسعود انمُوذجًا

د. علي صاحب الهاشمي
جامعة المصطفى العالمية

Irregular readings and their impact on understanding the Qur'an - Ibn Masoud's reading as a model

Dr. Ali Sahib Al Hashemi
Al-Mustafa International University
Email: nsm9282@gmail.com

ملخص البحث

هذه الدراسة محاولة لمعرفة أثر المعاني التفسيرية ، واللغوية المستخلصة من القراءات الشاذة ، وبيان دورها في فهم مقصد القرآن ، وقد اخترنا قراءة الصحابي ابن مسعود (ت٣٢هـ) انموذجًا للوصول إلى تلك المعاني، حيث استعرضنا نماذج تطبيقية متعددة؛ للوقوف على المسلك الذي سلكه في بيان معاني ألفاظ القرآن الكريم، وعلى ضوء ذلك نستطيع بناء منهج جديد ، وقاعدة يُرتكز عليها في تفسير القرآن تضاف للمناهج الأخرى التي يعتمدها المفسّر في فهم كلام الله تعالى.

اعتمدنا في هذه الدراسة على منهج التتبع والاستقراء والتحليل ، حيث تتبعنا أغلب القراءات الشاذة التي نسبت للصحابة مع تسليط الضوء على قراءة ابن مسعود (ت٣٢هـ) بعد استخراجها من مظان كتب التفسير والقراءات ، ثم جمعناها وصنفناها وأجرينا عليها دراسة تحليلية بعد عرضها على الآيات القرآنية ، معتمدين على قراءة عاصم الكوفيّ التابعي (ت١٢٨هـ) التي رواها عنه تلميذه حفص بن سليمان الكوفيّ (٩٠-١٨٠هـ) ؛ كونها القراءة المطابقة للرسم القرآني ، ثم بيّنا وجه المقارنة بينهما من ناحية المعاني اللغوية والتفسيرية بالاستعانة بكتب اللغة ، وكتب تفسير علماء المذاهب الإسلامية مع توجيه المعني الجديد الذي أضافته القراءة .

هدفنا الرئيسي من هذه الدراسة تكمن في إبراز أهمية القراءات التي عُدّت شاذة ، وأثرها في فهم القرآن الكريم وإظهار دور الصحابة ، وتعاملهم مع ألفاظ النصّ القرآني للوصول إلى معاني تفسيرية ، مع إبراز مكانة ابن مسعود (ت٣٢هـ) وبيان طريقته في التفسير، وإيضاح المفاهيم القرآنية عن طريق القراءة المنسوبة له والتي صنفت في عداد الشواذ ؛ مما جلب اهتمام الباحثين بالتوجه إلى منهج جديد من مناهج التفسير على ضوء القراءات الشاذة.

وصلنا إلى نتيجة مفادها أنَّ أغلب القراءات الشاذة التي نسبت للصحابة ، وبالأخص ابن مسعود (ت٣٢هـ) تحمل على أنّها إيضاح وبيان معاني الألفاظ القرآنية (قراءة تفسيرية)، ولها أثر كبير يستفاد منه في فهم القرآن ، وليست قراءة قرآنية مقابل القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: المنهج التفسير ، القراءة ، القراءات الشاذة ، القراءة التفسيرية ، ابن مسعود.

Abstract

This study is an attempt to find out the effect of the explanatory and linguistic meanings extracted from the abnormal readings. And an explanation of its role in understanding the Qur'an. We chose to read the companion Ibn Masoud (T 32 AH) as a model to reach these meanings. Where we reviewed several application models; To find out the path he took in explaining the meanings of the words of the Noble Qur'an In its light we can build a new approach and a basis upon which to interpret the Qur'an in addition to the other approaches adopted by the exegete in understanding the words of God Almighty.

In this study we used the method of tracking induction and analysis where we followed most of the abnormal readings attributed to the Companions. Highlighting the reading of Ibn Masoud (T 32 AH) After extracting them from the books of interpretation and readings then we collected and classified them and conducted an analytical study on them after they were presented to the Qur'anic verses relying on the reading of Asim Al-Kufi Al-Taabi'I (T 128 AH) Which

was narrated from him by his student Hafs bin Suleiman Al-Kufi (90-180 AH) as it is the reading that corresponds to the Qur'anic drawing then we explained the way of comparison between them in terms of linguistic and interpretive meanings with the help of language books and interpretations of scholars of Islamic schools of thought. With the orientation of the new meaning added by reading.

Our main objective in this study lies in highlighting the importance of anomalous readings and their impact on understanding the Holy Qur'an and showing the role of the Companions and their dealing with the words of the Qur'anic text to reach interpretive meanings. With highlighting the status of Ibn Masoud (T 32 AH) and explaining his method of interpretation and clarification of Quranic concepts Through the reading attributed to him which was classified as anomaly he brought researchers' interest to turn to a new method of interpretation in the light of abnormal readings.

We reached the conclusion that most of the abnormal readings attributed to the Companions especially Ibn Masoud (T 32 AH) It is taken as a clarification and clarification of the meanings of the Qur'anic words and it has a significant impact on understanding the Qur'an and it is not a Qur'anic reading in contrast to the Holy Qur'an.

Keywords: curriculum interpretation reading abnormal readings explanatory reading Ibn Masoud.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين حبيب قلوب العالمين أبي القاسم مُحَمَّد وآل بيته الطيبين الطاهرين المعصومين.

القرآن الكريم الدستور الخالد للدين الحنيف ، والعروةُ الوثقى من تمسك به اهتدى إلى الصراط المستقيم فيه نجاة العباد وصلاحهم في الدنيا والآخرة ؛ ولأهميته وعظمته عكف الصحابة الأوائل على تفسيره ، وبيان معانيه ، وإيضاح مراد الله تعالى منه ملتقطين دره النفيسة من معلمهم الأوحد النبي الأكرم ﷺ ، وحذا حذوهم جمّ غفير من العلماء المتقدمين والمتأخرين، خاضوا في أعماقه وارتووا من منهله العذب تعلموا قراءته وتلاوته وحفظه ، واهتموا بدراسته وتفسير معانيه ، وقد تنوعت المناهج والطرق التي سلكوها كلّ حسب سعته ، وقدرته وفهمه ، وطريقة تفكيره والنافذة التي ينظرمنها ، فمنهم من انتهج مسلكًا في تفسيره معتمدًا على آياتٍ تفسر بعضها بعضًا ، ومنهم من جعل سنة النبي الأكرم ﷺ وآل بيته ﷺ محورًا معتمدًا على ما صدر عنهم من أقوال وأفعال وتقارير ، ومنهم من اتخذ قول الصحابة طريقًا لدراسته؛ لأنّهم تلقوا ألفاظ القرآن ومعانيه السامية سماعًا ومشافهةً عن الرسول الأكرم ﷺ ومعايشتهم عصر النصّ ، وتمرسهم باللغة العربية التي نزلت بها ألفاظ القرآن واطلاعهم على العرف السائد آنذاك فهم من المفسرين الأوائل ، فلا يُنكر فضلهم في الاهتمام بنقل العلوم والمعارف الإسلامية خاصّة في مجال القراءة وعلم التفسير ، وقد خضنا البحث والتحقيق في القراءات الشاذة ، وما صدر عنهم من تراث علمي وافر بما تحويه من معاني وآثار في فهم القرآن ، حتى أصبحت مورد اهتمامنا وقد تتبعنا أثرها في الوصول إلى بيان وفهم معاني بعض آياته ، فحاولنا سلوك منهجٍ حديثٍ يقدم لنا تفسيرًا وبيانًا لبعض معاني الآيات وبالأخص قراءة ابن مسعود (ت٣٢هـ)؛ لما فيها من أثر في فهم القرآن والوقوف على إيضاح معاني بعض آياته ، وهي محاولة دراسية تسهم في إثراء جزء بسيط من تفسير ألفاظ القرآن الكريم.

أهداف البحث :

بيان أثر القراءات الشاذة في فهم معاني القرآن الكريم ، مع محاولة موجزة في تسليط الضوء على قراءة الصحابي ابن مسعود (ت٣٢هـ) بما تحويه من معان ومفاهيم أساسية؛ لأنّه من المفسرين الأوائل وتلميذ المدرسة النبوية والعلوية حيث نهل العلم من مناهله العذبة ، ومن أجل أنْ يستوفي البحث شروطه العلمية استعراضنا عدّة شواهد كنماذج تطبيقية ليطلع القارئ الكريم عليها ، وإثراء المكتبة الإسلامية بمقالة وفق المنهج العلمي تحت إشراف أستاذ متخصص في علوم القرآن حثّ الباحثين على انتهاج منهج جديد في تفسير القرآن طبق القراءات الشاذة.

القراءات الشاذة ودورها في تفسير القرآن :

نقصد بها ما وراء القراءات العشرة المتعارفة والمشهورة عند علماء القراءات القرآنية ، والتي لمْ يراع فيها ضوابط وأركان القراءة الصحيحة من ضبط السند ومطابقتها للرسم القرآني وموافقتها للغة العربية ، وقد ذكرت بين طيات بعض كتب تفسير المتقدمين وكتب القراءات القرآنية ، وهي منسوبة للصحابة والتابعين والمتأخرين عنهم ، وسنقتصر في دراستنا على ما نُسِب للصحابة الأوائل وبالأخص قراءة ابن مسعود (٣٢هـ) ، حيث حققنا وبحثنا فيها وتبيّن لنا أنَّ أغلبها معاني تفسيرية لبعض الألفاظ القرآنية سواء كانت مبهمة، أو معلومة من باب زيادة إيضاح ، أو بيان حكم فقهي ، أو التعرض لسبب نزول آية قرآنية، وبنظرنا هي عبارات لا تخرج عن احتمالين: أمّا كلمة ، أو عبارة تدرج بين الألفاظ القرآنية، أو فوقها أو تعليقة لإيضاح النص القرآني وأغلبها من هذا القبيل ، وهي طريقة لتوثيق المعلومات ينتفع منها المدوّن عند الرجوع إليها يقول أبو عبيدة (ت٢٠٩هـ) حول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾[1] أنهّا نزلت في وفد بني تميم وقولهم: يا محمد أخرج إلينا يا محمد أخرج إلينا ، وفي مصحف ابن مسعود:

(١) سورة الحجرات ، الآية : ٤.

(أَكْثَرُهُمْ بنو تميم لا يَعْقِلُونَ)[1] ، فالضمير في قوله تعالى: ﴿ أَكْثَرُهُمْ ﴾ يعود لقوم بني تميم والآيات نزلت فيهم ، وابن مسعود (ت٣٢هـ) وضع كلمة (بنو تميم) بين الآيات القرآنية؛ لتوثيق سبب نزولها عند المرور على هذه الآيات ، وليست إضافة للنصّ القرآني وهناك نماذج تطبيقية كثيرة سوف نوردها لاحقا كشاهد تبيّن ذلك ، ولم يقتصر هذا العمل على الصحابي ابن مسعود (ت٣٢هـ) ، وأبي بن كعب (ت٢٠هـ) ، وابن عباس (ت٦٨هـ) ، بل الظاهر أنّه رائج عند الصحابة الذين يجيدون الكتابة ، وأنَّ مصحف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي جمعه بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من هذا القبيل ، حيث كان يحوي على أسباب النزول وتأويل الآيات ، وتفسير معانيها وغيره ، بل أنه كان يذكر أسماء من نزلت فيهم الآيات؛ لذا تم رفض مصحفه من قبل السلطة الحاكمة آنذاك.

وقفة مع ابن مسعود :

بما أنَّ أغلب القراءات تنسب إلى الصحابي ابن مسعود (ت٣٢هـ) ودراستنا اختصت بما صدر عنه ؛ لذا سوف نقف على سيرته العلمية وبيان دوره في تفسير القرآن ، فهو من أوائل الصحابة صحب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وتعلم منه قراءة القرآن الكريم وحفظ آياته وفهم معانيه ، وأخذ العلم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقرأ عليه القرآن ، فهو من الناحية العلمية تلميذ مدرسة الوحي الإلهي ، يقول ابن طاووس (ت٦٦٤هـ) نقلًا عن ابن مسعود (ت٣٢هـ) أنّه قال: «كان الرجل منّا [الصحابة] إذا تعلّم عشر آيات لمْ يجاوزهنَّ حتّى يعرف معانيهنَّ، والعمل بهنَّ»[2] ، وروى علقمة أنَّ ابن مسعود قال ذات يوم: «لو علمت أنَّ أحدًا هو أعلم منى بكتاب الله عز وجل لضربت إليه إباط الإبل فقال رجل: ألقيت عليًا عليه السلام فقال: نعم قد لقيته وأخذت عنه واستفدت منه وقرأت عليه وكان خير الناس ، وأعلمهم بعد رسول الله ولقد رأيته كالبحر يسيل سيلًا»[3] ، وعن زِرٍّ بن

(١) انظر : مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى ، ٢ / ٢١٩ ؛ جواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي عبد الرحمن بن محمد، ٥ / ٢٦٩.

(٢) التبيان في تفسير القرآن، الطوسي محمد بن الحسن ، ١ / ١٧.

(٣) سعد السعود ، ابن طاووس على بن موسى ،٢٨٥.

حُبَيْشٍ الكوفيّ (ت٨٢هـ) عن الإمام علي عليه السلام قال: «أول من قرأ آية من كتاب الله عن ظهر قلبه عبد الله بن مسعود»[١] ويصفه ابن هشام (ت٢١٨هـ) بأنّه أوّل من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله متحديًا غطرسة قريش وتحمل في سبيل ذلك أذاهم[٢] ، وأشتهر بين الصحابة بحفظه للقرآن ، ومعرفته بقراءته وتفسيره ، والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله أثنى على قراءته حيث قال: «من سره أنْ يقرأ القرآن غضًا [صفة للثمر] كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»[٣] ، وكان من فقهاء الصحابة اختاره عمر بن الخطاب في خلافته وبعثه إلى الكوفة؛ ليقرئهم القرآن ويعلمهم أحكام دينهم وكتب إلى أهلها بأنّه بعث لهم معلمًا ووزيرًا ، وأنّه من النجباء ومن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فاسمعوا له واقتدوا به، وقد آثرهم به على نفسه وسلمه القضاء وبيت المال في الكوفة حيث نشر بينهم قراءة القرآن وتفسير معانيه ، وبيّن أحكامه فجلس الكوفيون إليه وتعلموا منه وكان عمر بن الخطاب يصفه ويقول: «كُنَيف [وعاءٍ] مُليءَ علمًا»[٤].

وعند توحيد المصاحف عام (٢٥هـ) أجرى عثمان حكم تحريم قراءة ابن مسعود، وبعض الصحابة وصدر بحقهم بيان بإتلاف وحرق مصاحفهم حيث أتلفها ، وقد اعترض عليه ابن مسعود (ت٣٢هـ) مع بقية الصحابة وتصدوا لفعله يصف هذه الحادثة الشريف المرتضى (٣٥٥ – ٤٣٦هـ) قائلًا: «إنَّ ابن مسعود كره إحراق المصاحف كما كرهه جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وتكلموا فيه، وما كره عبد الله من تحريم قراءته، وقصر الناس على قراءة غيره إلا مكروهًا، وهو الذي يقول النبي صلى الله عليه وآله : من سره أنْ يقرأ القرآن غضًا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد وروى عن ابن عباس أنه قال: قراءة ابن أم عبد هي القراءة الأخيرة»[٥].

(١) كنز العمال ، المتقي الهندي علاء الدين علي المتقي ، ١٣ / ٤٦٩ .
(٢) انظر : السيرة النبوية ، ابن هشام عبد الملك بن هشام ، ١ / ٢٠٧ .
(٣) المجازات النبوية ، الشريف الرضي محمد بن الحسين ، ٣٥٢ ، ح٢٧٠ .
(٤) جواهر الحسان في تفسير القرآن ، الثعالبي عبد الرحمن بن محمد ، ١ / ٥٤ .
(٥) الشافي في الإمامة ، الشريف المرتضى علي بن الحسين ، ٤ / ٢٨٤ .

لم يقتصر اعتراضه علي حرق المصاحف بل اعترض على تهميشه وعدم إدراجه في لجنة توحيد المصاحف ، وتقديم منْ هو ليس أهلاً لها وخاطب أصحابه قائلًا : غلوا مصاحفكم التي عندكم أي اكتموها ولا تسلموها للسلطة الحاكمة ؛ ويقول أبو يعلى الموصليّ (ت٣٠٧هـ) : «وكان ابن مسعود قد كره أنْ ولي زيد نسخ المصاحف قال بن شهاب وحدثني عبيد الله بن عبد الله أنَّ عبد الله قال: يا معشر المسلمين أعزل عن كتاب الله ويولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر يريد زيد بن ثابت قال فلذلك قال عبد الله: يا أهل الكوفة غلوا المصاحف التي عندكم واكتموها فإنَّ الله يقول: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾»[١].

يقول النووي الشافعيّ (٦٣١ ٦٧٦هـ): «معناه: أنَّ ابن مسعود كان مصحفه يخالف مصحف الجمهور ، وكانت مصاحف أصحابه كمصحفه فأنكر عليه الناس ، وأمروه بترك مصحفه وبموافقة مصحف الجمهور، وطلبوا مصحفه أنْ يحرقوه كما فعلوا بغيره فامتنع ، وقال لأصحابه: غلوا مصاحفكم أي اكتموها»[٢] من حقه أنَّ يعترض فهم أخروا منْ كان مقدمًا بهذا الأمر ، كما همشوا مِنْ قبل أمير المؤمنين عليه السلام الذي عُرف منْ بين الصحابة بأنه أقرأهم للقرآن ، وأحفظهم له وأعلمهم به حتى ابن مسعود يقول: «ما رأيت أحدًا أقرأ من علي بن أبي طالب للقرآن»[٣].

وفي عهد عثمان، امتنع ابن مسعود أنْ يمنح الوليد بن عقبة[٤] من بيت المال يوم كان عليه، وألقى مفاتيح بيت المال[٥]، وتكلم بكلام يصف به عثمان ثم قال: «إنّ أصدق القول كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمّد صلى الله عليه وآله، وشرّ الأُمور محدثاتها ، وكل محدَث بدعة وكل

(١) بحار الأنوار ، المجلسي محمد باقر ، ٨٩ / ٧٧ ؛ مسند أبي يعلى ، أبو يعلى الموصلي أحمد بن علي، ١ / ٦٥.

(٢) شرح صحيح مسلم ، النووي يحيى بن شرف ، ١٦ / ١٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب ، ابن شهرآشوب محمد بن علي ، ١ / ٣٢١.

(٤) سمّاه القرآن فاسقاً حيث نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنْ جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الآية ٦ من سورة الحجرات.

(٥) الوليد بن عقبة كان والي الكوفة من قبل عثمان لذا ألقى الصحابي ابن مسعود مفاتيح بيت المال عليه.

بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» فكتب الوليد في حقه إلى عثمان، فكتب عثمان إلى ابن مسعود «إنّما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال»، ثم أمره بأشخاصه إلى المدينة، فأخذه عثمان أخذًا شديدًا وهجره ومنعه عطاءه، وأمر به فأخرج من مسجد رسول الله ﷺ إخراجًا عنيفًا [1]، فالظروف السياسية والوضع الأمني بيد السلطة الحاكمة آنذاك ، ويؤرخ المؤرخون طبقا لأهواء سلاطينهم بهذه الأسباب وغيرها مرض ابن مسعود ، وفي عام ٣٢هـ انتقل إلى رحمة الله تعالى ودفن في مقبرة البقيع بالمدينة المنورة، في عهد عثمان ولم يُعلمه أحد بذلك بوصيتهِ منه لجفوةٍ كانت بينهما[2] حيث يصفها ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) جفوة بينهما حيث كان غاضباً منه وساخطاً عليه من أفعاله وتصرفاته.

رأي الباحث :

تربّى ابن مسعود في مدرسة النبوة ونهل من ينابيع علومها ، حيث تخصّص بقراءة القرآن الكريم وحفظه وفهم معانيه وكان يجيد القراءة والكتابة؛ لذا دوّن مصحفًا نسب إليه ، وقد وصفه النووي الشافعيّ (٦٣١ – ٦٧٦هـ) قائلًا: أنّه يشبه مصاحف الصحابة ويخالف مصحف الجمهور، أي المصحف الموحّد نعم أنَّ المصحف الموحّد اقتصر على السور والآيات القرآنية ، أمّا مصاحف الصحابة وخاصّة مصحف ابن مسعود (ت٣٢هـ) يحتوي على السور القرآنية بضميمة كلمات وعبارات تفسيرية ، وأمّا القراءة فإنّه يقرأها عنْ ظهر قلب لحفظه للقرآن الكريم ، أو يقرأها بمصحفه ويمر على الكلمات الزائدة التي دوّنها يطرحها في مجالس درسه من باب إيضاح ، وتفسير معاني بعض الألفاظ القرآنية المبهمة ، أو لها معنى مرادف ، أو بيان سبب نزول الآية أو توضيح حكم فقهي ، وهي تجسيد واقعي للمعاني القرآنية التي تعلمها ، وقد نسبت له وتناقلوها الناس فيما بينهم على أنّها قراءة.

الحوادث التاريخية والظروف السياسية التي عاشها ابن مسعود (ت٣٢هـ) ، وعلاقته مع السلطة الحاكمة المتمثلة ببني أمية يكتنفها غموض وإبهام خاصة موقف عثمان تجاهه ؛

(١)أنساب الأشراف ، البلاذري أحمد بن يحيى ، ٥ / ٥١٨.
(٢)أسد الغابة ، ابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد ، ٣ / ٢٦٠.

وبنظرنا إتلاف المصاحف له بعد سياسي وحقد دفين فاتلف مصحف ابن مسعود وضم إليه إتلاف مصاحف الصحابة ، حيث أنَّ مصاحفهم كانت تحوي بالإضافة إلى السور وآيات القرآن الكريم ، على إيضاحات وتبيين معاني ثانية ، لعلها تحوي على أمور أخرى كذكر أسماء من نزلت فيهم بعض الآيات من المقربين للسلطة الحاكمة آنذاك ، وهذا لا يروق لهم فهي مرفوضة عندهم كما رفض مصحف أمير المؤمنين عليه السلام ، نعم بعض المصاحف التي تحوي على قراءات اجتهادية من قبل البعض تستحق إتلافها ومحوها ، فالتأريخ يضم بين طياته آلام وفتن وأغلب الحقائق طمست؛ لأنها تمسَّ بعض الشخصيات.

المهم أنَّ مصحف ابن مسعود يضم بين طياته كلمات ، وعبارات تفسيرية تعلمها عندما درس آيات القرآن الكريم ، ومفاهيمه من المنبع الصافي الذي لا كدر فيه المتمثل بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، حيث جلس طويلا في مجالس الكوفة يعلم أهلها معارف القرآن حتى عام ٣١هـ عندما أحضر منها إلى المدينة بأمر عثمان ، وبنظرنا ما نسب إليه ليست قراءات اجتهادية ورأي شخصي ، وإنّما هي إيضاحات بيانية ومعاني تفسيرية ودليلنا على ذلك:

أولاً: إنَّ ابن مسعود عاش مع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أول بعثته لحين وفاته ، وصاحب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لحين وفاته عام ٣٢هـ ، ومصحفه حتمًا دوّن أيام أخذه عنهما بل يقينًا دوّنه في حياة علي بن أبي طالب عليه السلام ، والتأريخ لم يحدثنا أنّهما ذكراه بسوء أو استنكروا عمله ، بل أنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أثنى عليه ووصف قراءته للقرآن كما أنزل ، وأرشد الصحابة على الأخذ بقراءته ؛ وهذا يدل أنّهما على علم بما في مصحفه وما فيه من علم أخذه عنهما، حتى أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يعاتبه يومًا على فعله لماذا يسكت عنه وفعله خطير جدًا تجاه القرآن يصدر من أحد تلامذته ومن الصحابة المقربين للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

ثانيًا: إنَّ مصحفه يشبه مصاحف الصحابة ، وعندما طلبوا حرق مصحفه أخبرهم أنْ يخفوا مصاحفهم هل يتوقع من الصحابة أنّهم يتفقون جميعًا على زيادة أو نقصان كلمة من القرآن؟ ، وإخبار ابن مسعود للصحابة بالتكتم وإخفاء مصاحفهم بنظرنا حرصًا على ما

فيها من تراث تفسيري قيّم.

ثالثًا: روى عاصم الكوفيّ (١٢٨هـ) عن زِرٍّ بن حُبَيْشٍ الكوفيّ (ت٨٢هـ)، عن عبد الله بن مسعود (ت٣٢هـ) أنّه قال: قال لنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يأمُركُمْ أنْ تقرؤوا كما علمتُمْ»[١] ، رواه ابن مسعود ونقله غير واحد عنه كيف يخالف أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقراءة ما ليس بقرآن ، وهو راوي هذا الحديث عن علي بن أبي طالب عليه السلام والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وتعلم قراءة القرآن منهما.

رابعًا: اختاره عمر وآثره على نفسه فأرسله مبعوثًا عنه إلى الكوفة قاضيًا ووزيرًا وأمينًا على بيت المال ومعلمًا ، ينشر بينهم قراءة القرآن وتفسير معانيه ويعلمهم أحكامه فعلّم أهل الكوفة وأقرأهم القرآن ، وفسّر معانيه علانيةً وتحت نظر الصحابة في عهدي عمر وعثمان؛ فإذا كان يجتهد بالقراءة كيف يختاره ولم يذكر لنا التأريخ أحد من هؤلاء اعترضوا عليه أو على قراءته ، بل أنَّ أهل الكوفة اجتمعوا عليه وتكفلوا أمره ومنعوه من الذهاب للمدينة خوفًا عليه من بطش عثمان ولكنه رفض تجنباً للفتنة[٢].

خامسًا: أمانته على بيت المال وحرصه عليه ، ومنعه الوليد من الوصول إليه ، وهو يعرف أنَّ هذا العمل يعرضه لأذى السلطة كيف لا يكون أمينًا على كتاب الله تعالى بإضافة كلمة أو نقصانها أفضل من أنْ يكون أمينًا على حطام الدنيا.

سادسًا: بعض المفسرين المتقدمين يعتمدون على ما في مصحفه من معان تفسيرية منهم: شيخ القرّاء والمفسرين مجاهد بن جبر (٢١ – ١٠٤هـ) تلميذ ابن عباس (ت٦٨هـ) ، أخذ القرآن وتفسيره عنه وعرض القرآن عليه ثلاث مرات كان يسأله كثيرًا عن التفسير ، ولكنه يتحسر على عدم قراءته عند ابن مسعود ، ويقول لو كنت قرأت عنده لم أحتج أنْ أسأل ابن عباس عن كثير من تفسير القرآن ، وقرأ القرآن عند مجاهد بن جبر ثلاثة من أئمة القراءات، أمثال: ابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصري ، وابن محيصن فلم يتعرضوا ويذكروا

(١) مسند البزار المسمّى (البحر الزخار) ، البزار أحمد بن عمرو ، ٢ / ٩٩.
(٢) أسد الغابة ، ابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد ، ٣ / ٢٦٠.

أنَّ ابن مسعود تمسك بقراءة مخالفة للنص القرآني أو اجتهد بها واختصها لنفسه ، فهذا شاهد على أنَّ مصحفه إيضاحات وبيان معاني تفسيرية ، وأيضًا المفسّر إسماعيل السديّ (ت١٢٧هـ) كان أغلب تفسيره يورده بأسانيد ابن مسعود وابن عباس ولم يطعن فيه أو في مصحفه ، والسيوطي يصف تفسير السديّ بأنه من أمثل التفاسير والثوري وشعبة يروون عن السديّ[١].

سابعًا: تتلمذ على يديه عدد كثير من العلماء والقرّاء وفي القراءة روى عنه:

١- أبو عبد الرحمن السلمي الكوفيّ (ت٧٤هـ) الذي قرأ القرآن على علي بن أبي طالب ﷺ وابن مسعود.

٢- زِرُّ بن حُبيشٍ الكوفيّ (٣٧ ق هـ - ٨٣هـ) قرأ القرآن على علي بن أبي طالب ﷺ وابن مسعود ، وكان يتردد بينهما حتى استوثق القراءة منهما ، وكان يعرض القرآن على ابن مسعود ، وروى القراءة عنه أيضًا عبيد بن نضيلة، وغيرهم.

وتعرض الذهبيّ الشافعيّ (٦٧٣ - ٧٤٨هـ) إلى عدد من تلاميذه ووصفه قائلًا: «روى علمًا كثيرًا حدث عنه: أبو موسى، أبو هريرة، وابن عباس، وابن عمر، عمران بن حصين، وجابر، وأنس، وأبو أمامة، في طائفة من الصحابة، وعلقمة والأسود، ومسروق، وعبيدة، وأبو وائلة، وقيس بن أبي حازم، والربيع، بن خثيم، وطارق بن شهاب، وزيد بن وهب، وولداه أبو عبيدة وعبد الرحمن، وأبو الأحوص عوف بن مالك، وأبو عمرو الشيباني، وخلق كثير»[٢] ، ولم يذكر لنا التاريخ أنَّ هؤلاء التلاميذ تعرضوا ، أو تفوهوا عبارات ذم على مصحف شيخهم أو طعن في قراءته ، أو ادعوا أنّها قراءات اجتهادية بعرض النصّ القرآني ومخالفة له ، بل أنّهم يثنون عليه وعلى علمه ويذكرون أهمية مصحفه أيام حياته ومن بعد وفاته.

ثامنًا: إنَّ الغاية من إدراج الكلمات بين النصّ القرآني؛ لبيان المعاني التفسيرية التي

(١) الإتقان في علوم القرآن ، السيوطي عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر ، ٢ / ٤٩٧.
(٢) سير أعلام النبلاء ، الذهبي محمد بن أحمد ، ١ / ٤٦٢.

تعلمها والبعض يطلقون عليها "قراءة ابن مسعود" وأخرى "في مصحف ابن مسعود" ولم نجد من أطلق عليها قرآن فعليه هي ليست قرآناً يقرأ بها بل هي معاني تفسيرية.

وهناك شواهد كثيرة وقد اتفق أغلب العلماء على أنّ الزيادات في مصحف ابن مسعود معاني تفسيرية، وليست نصًا قرآنيًا ، من مثل ابن الجزري الشافعيّ (٧٥١ – ٨٣٣هـ) من أئمة القرّاء يقول: «وأما من يقول إنَّ بعض الصحابة كابن مسعود كان يجيز القراءة بالمعنى، فقد كذب عليه نعم كانوا ربما يدخلون التفسير في القراءة إيضاحًا وبيانًا ؛ لأنّهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآنًا فهم آمنون من الالتباس»[١] ، والمفسرّ ابن العربي المالكيّ (٤٦٨ – ٥٤٣هـ) يصف الغرض من هذه القراءة بأنّها من باب البيان والتفسير حيث يقول: «وفي قراءة ابن مسعود لم يكن المشركون وأهل الكتاب منفكّين وهذه قراءةٌ على التفسير وهي جائزة في معرض البيان لا في معرض التلاوة»[٢] ، والنّحاس اللغوي (ت٣٣٨هـ) عندما تعرض لبعض القراءات المنسوبة لابن مسعود قال: «وهي قراءة ابن مسعود وهي على التفسير»[٣] ، وابن سلاّم (١٥٧ – ٢٢٤هـ) بعد أنْ ذكر عدّة نماذج من قراءات الصحابة يقول: «فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسّرة للقرآن، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك، فكيف إذا روى عن كبار الصحابة، ثم صار في نفس القراءة! فهو الآن أكثر من التفسير وأقوى؛ فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل؛ على أنّها من العلم الذي لا يعرف العامة فضله، إنّما يعرف ذلك العلماء؛ ولذلك يعتبر بها وجه القرآن»[٤].

خلاصة الكلام بنظرنا أنَّ مصحفه كتاب تفسير يحمل بين طياته معاني تفسيرية ، أي هو نصّ قرآني بضميمة بعض الكلمات التي يستفاد منها بعنوان إيضاح ، وبيان للألفاظ القرآنية كما معروف بـ(الحواشي) في وقتنا الحاضر في بعض التفاسير ، ولها فائدة وأثر في

(١) النشر في القراءات العشر ، ابن الجَزَرِيّ ، محمد بن محمد ، ١ / ٤٤.
(٢) أحكام القرآن ، ابن العربي محمد بن عبد الله ، ٤ / ٤٣٦.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي محمد بن أحمد ، ١٣ / ٨٥ .
(٤) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي محمد بن عبد الله ، ١ / ٣٣٧.

التفسير؛ لذا أصبحت محل اهتمام من قبل المفسرين خاصّة القدماء سواء عند الصحابة ، أو عند التابعين ومن تبعهم ، وبنظرنا أنَّ الأولى لو يطلق عليها تفسيراً أو "رواية تفسيرية" كان أفضل تمييزًا عن القراءة التي تذكر من قبل رواة القراءة عن القارئ الذي أخذ عنه ، والتي وصلتنا عن اجتهاد شخصي واختيار من قبلهم لأنّه عند تصنيفها تدرج تحت عنوان القراءات الشاذة ، وينصرف الذهن إلى أنّها قراءة ، ولعل إطلاق لفظ القراءات عليها من باب المسامحة وليس على أساس الحقيقة والواقع ، والبعض التبس عليهم الأمر فأطلقوا عليها قراءات مقابل ، أو بعرض القراءات الأخرى ، فهي تفسير يستعين بها من يكتبها ويفرق بينها وبين النصّ القرآني، ولا تحمل على أنّها قراءة ، وقد تنبه أبو حيان الأندلسي المالكيّ (٦٥٤ – ٧٤٥هـ) لهذا ، ولم يسمّيها قراءة حيث قال عنها: «لا تحمل على أنّها قراءة لمخالفتها السواد ، وإنَّما هي تفسير»[1] ولكن في الواقع هذا المصحف غير موجود فقد أتلف عام ٢٥هـ لم يبق منه إلا منقولات مبعثرة بين ثنايا الكتب.

نماذج تطبيقية من قراءات ابن مسعود :

إنَّ الدراسات العلمية توجب على الباحث أنْ يدعم دراسته بشواهد وأدلة على مدعاه ؛ لذا نحاول استقصاء بعض النماذج التطبيقيّة التي وقفنا عبر البحث والتحقيق في القراءات الشاذة التي نسبت للصحابي ابن مسعود (ت٣٢هـ) ، نبدأها بقراءة عاصم الكوفيّ (ت١٢٨هـ) براوية تلميذه حفص الكوفيّ (ت١٨٠هـ) ؛ ليتسنى لنا مقارنة بعضها مع بعض ؛ من أجل إيضاح فارق الاختلاف بينهما ، ومعرفة أثرها في فهم القرآن الكريم وتفسيره حيث وقفنا على نماذج تطبيقية كثيرة ، وسوف نقتصر على بعض منها تجنبًا للإطالة وقد رتبناها على شكل مجاميع:

المجموعة الأولى: بيان حكم فقهي :

وقفنا عبر البحث والتحقيق على بعض النماذج التطبيقية التي لها أثر في إيضاح بيان حكم فقهي حيث صنفناها كمجموعة مستقلة ؛ للتعرف على آثار معانيها مقتصرين على

(١) تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف ، ٦ / ٧٨.

بعض منها:

النموذج الأول: قطع يد السارق قال تعالى: ﴿ السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾[1].

الفرع الأول: وجوه القراءات

أولًا: ﴿ أَيْدِيَهُمَا ﴾ مفردها يَدْ وهي قراءة عاصم الكوفيّ (ت١٢٨هـ) ، التي رواها عنه تلميذه حفص الكوفيّ (ت١٨٠هـ) ، وأيضاً قرأها بقية القرّاء وهي القراءة المطابقة للرسم القرآني.

ثانيًا: (أَيْمَانَهُمَا)[2] مفردها يمين مقابل اليسار قراءة منسوبة لابن مسعود (ت٣٢هـ) ، وهي القراءة المخالفة للرسم القرآني.

الفرع الثاني: معنى الآية عند العلماء والمفسرين

تتحدث الآية الشريفة عن السرقة حيث اعتبرها الشارع من الجرائم التي تهدد حياة أفراد المجتمع وممتلكاته، والله تعالى حدد عقوبتها في كتابه الكريم وظاهر الآية توجب قطع ﴿ أَيْدِيَهُمَا ﴾ أي يد السارق أو يد السارقة ، والسارق في اللغة تعني: أخذ الشيء المال في خفاء أي يأتي السارق مستترًا في خفية[3]، وهذا بنظرنا متفق عليه عند أغلب علماء المذاهب الإسلامية ، ولكنهم اختلفوا في حكم كلّ من اليد والقطع بسبب عدم تعرض الآية لهما ولا توجد آية قرآنية تبيّن معنى ذلك ، ولا ريب أنَّ هذه الأحكام مجملة ، وتفتقر إلى بيان ولابد من معرفة الحكم الشرعي لهذه الجريمة ، والوقوف على حكم وبيان لمعنى الآية والله تعالى يقول: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ، فهنا يأتي دور النبي الأكرم ﷺ

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣٨.

(٢) تفسير مجمع البيان ، الطبرسّي الفضل بن الحسن ، ٣ / ٣٢٩ ؛ تفسير البحر المحيط ،أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف ، ٣ / ٤٩٤ ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الثعلبي أحمد بن محمد ، ٤ / ٦٠ ؛ الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري محمود بن عمر ، ١ / ٦١٢.

(٣) مجمع البحرين ، الطريحي فخر الدين بن محمد علي ، ٥ / ١٨٥.

ليبيّن ما أجمل وتردد في بعض الأحكام ، وبما أنّه بحثٌ فقهي والكلام فيه مفصل والآراء كثيرة ؛ ولأهميته سوف نقتصر على رأي علماء الشيعة الإمامية في هذه المسألة ، من مثل المقداد السيوريّ (ت٨٢٦هـ)، يقول: «وقع الإجماع على أنّه لا يقطع إلّا يد واحدة، وهي محتملة لإرادة اليمين واليسار، لصدق اليد على كلّ واحد منهما، لكنّ البيان المذكور خصّ اليمين وإنّما قال: ﴿ أَيْدِيَهُمَا ﴾ ولم يقل يديهما لعدم الاشتباه، نحو قوله تعالى: ﴿ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾[1] والمشهور عند الفقهاء القطع من مفصل الكفّ عن الساعد، وعند أصحابنا [الشيعة الإمامية] هو قطع الأصابع الأربع من اليد اليمنى، ويترك له الراحة [راحة الكفّ] والإبهام واعتمدوا في ذلك على نقلهم المتواتر عن أئمّتهم عليهم السلام»[2].

رأي الباحث :

اعتمد الشيعة الإمامية على رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ حيث إنّه إذا قطع يد السارق ترك له الإبهام والراحة، فقيل له: يا أمير المؤمنين تركت عامة يده؟ فقال لهم: «فإنْ تاب فبأي شيء يتوضأ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾»[3] ، وهذا يدل على مدى رحمة الله تعالى بعباده وقدرة آل البيت عليهم السلام في فهم القرآن الكريم ، واستنباط الأحكام الشرعية منه. وقوله تعالى: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ الأيدي جمع يراد به الاثنان فما فوق أي اليد اليمنى للسارق ، واليد اليمنى للسارقة أي اقطعوا أيمانهما ، يقول الشيخ الطبرسيّ (٤٧١ – ٥٤٨هـ): «وإنما قال: ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾، ولم يقل: يديهما، لأنّه أراد يمينًا من هذا، ويمينًا من هذه، فجمع، إذ ليس في الجسد إلّا يمين واحدة»[4]، وهذا المعنى طبق القراءة الموافقة للرسم القرآني أما قراءة ابن مسعود: (أيمانهما) من حيث الهيئة والشّكل مختلفتان ، وأما من لحاظ المعنى واحد ولا فرق بينهما بل

(١) سورة التحريم ، الآية : ٤.
(٢) كنز العرفان في فقه القرآن ، المقداد السيوري المقداد بن عبد الله ، ٢ / ٣٥٠.
(٣) تفسير العياشي ، العياشي محمد بن مسعود ، ١ / ٣١٨ ، والآية : ٣٨، ٣٩ من سورة المائدة.
(٤) تفسير مجمع البيان ، ٣ / ٣٢٩.

أنَّ ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾ مبهمة وبحاجة إلى بيان ، وقراءة ابن مسعود (ت٣٢هـ) جاءت لرفع الإبهام وتبيانًا وتفسيرًا لحكم فقهي ، وعليه أنّها قراءة تفسيرية وليست قراءة بعرض القرآن.

النموذج الثاني: صيام التتابع قوله تعالى: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾[١]، قرأ عبد الله بن مسعود: (فَصِيَامُ ثلاثةِ أيامٍ مُتَتَابِعاتٍ)[٢]، بإضافة كلمة (مُتَتَابِعاتٍ) فهذه الزيادة عند القرّاء سمّيت قراءة ونسبت له على أنها قراءة وعدت ضمن القراءات الشاذة ، وهي ليست كذلك ، بل هو في حال توضيح حكم فقهي وبيان طريقة صيام هذه الأيام ، وذكر الفدية التي تترتب على من كان مريضًا واضطر إلى ترك شيء من مناسك الحج ، كحلق رأسه قبل إتمامه المناسك وهو غير جائز ، والآية بصدد بيان جواز الحلق مع الفدية وأنَّ المكلف مخيَّر بين ثلاث أمور: الصيام، أو الصدقة، أو النُسُك أي ذبح شاة ، ولكن لم تتطرق إلى كيفية الصيام ، وهذه الزيادة (مُتَتَابِعاتٍ) بيَّنت أنَّ صيام هذه الأيام الثلاثة تكون في الحج وعلى شكل التتابع بدون فاصل زمني بينها ويُحمَلُ هذا من باب البيان والتفسير.

النموذج الثالث: وصية الأزواج قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾[٣] هذه الآية بيّنت أنَّ الأشخاص الذين حانت ساعة وفاتهم ، وبقيت زوجاتهم على قيد الحياة ينبغي عليهم أنْ يوصوا لهنَّ بالنفقة والسكن في ذلك البيت لمدة سنة كاملة ، وهذه في حال إذا بقت الزوجة في بيت زوجها ولم تخرج منه وهذا حكم عدّتها في أول الإسلام[٤] ، وابن مسعود قرأ: (كُتِبَ عليهم وصية لأزواجهم)[٥] فهو في حال بيان حكم عدّة الزوجة وأنَّ الزوج عليه أنْ يوصي لزوجته قبل وفاته بوصية لهنَّ وهذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩٦.
(٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ١ / ٦٤١.
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٠.
(٤) انظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي ناصر مكارم ، ٢ / ١٩٩ بتصرف.
(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، الثعلبي أحمد بن محمد ، ٢ / ٢٠٠.

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[1] حيث بيّنت عدّة المتوفى عنها زوجها بأنها أربعة أشهر وعشرة أيام، سواء كانت مدخولًا بها أو غير مدخول، حرة كانت أو أمة.

النموذج الرابع: مسّ الزوجة قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[2] الشوكانّي (ت١٢٥٥) يقول: «المراد بقوله: ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ ما لم تجامعوهن، وقرأ ابن مسعود (من قبل أن تجامعوهن) أخرجه عن ابن جرير الطبري»[3]، والمسّ هو كناية قرآنية عن الجماع، والآية دليل على أنَّ الرجل إذا طلق زوجته قبل الدخول بها ﴿مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ﴾ أي من قبل أنْ تجامعوهن لا عدّة عليها وابن مسعود (ت٣٢هـ) بيّن معنى المسّ في قوله تعالى لذا تحمل الزيادة على التفسير.

النموذج الخامس: طلاق الزوجة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ﴾[4] تتحدث هذه الآية الكريمة عن الطلاق والله تعالى خاطب نبيه الأكرم ﷺ وأمته بأنّه لا يجوز طلاق المرأة في عدَّتها، ولابد أنْ تكون طاهرة، وهذه المسألة أحد شروط إجراء صيغة الطلاق وطبقاً لآراء المفسرين إنَّ إجراء صيغة الطلاق يكون عند نقاء المرأة من عدّتها، وفي طهر لم يجامعها فيه، وهذا معنى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي لقبل عدَّتهن وابن مسعود قرأها: (فطلقوهنَّ لقبل عِدَّتهنَّ)[5]، وفي موضع آخر وجدنا قراءة أخرى له وهي: (فطلقوهنَّ لقبل طهرهنَّ)[6] ولا خلاف بينهما من حيث المعنى فهو في حال إيضاح وبيان معنى الحكم فقهي وليست هذه الزيادة بعنوان قراءة في عرض القرآن.

النموذج السادس: زواج المتعة قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ

(١) سورة لبقرة، الآية: ٢٣٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٦.
(٣) فتح القدير، الشوكاني محمد بن علي، ١ / ٢٥٢.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ١.
(٥) المعجم الكبير، الطبراني سليمان بن أحمد، ٩ / ٣٢١.
(٦) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، ٨ / ٢٧٨.

أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[1] أجمع علماء الشيعة الإمامية، وأهل السنة من المتقدمين والمتأخرين بأنَّ هذه الآية خاصّة بزواج المتعة ؛ وهو أنْ يتزوج امرأة إلى مدة معلومة فإذا انقضت تلك المدة بانت منه بلا طلاق ويستبرئ رحمها وليس بينهما ميراث ، ولكنهم اختلفوا في حليته وحرمته بعد وفاة النبي الأكرم ﷺ علماء الشيعة الإمامية قالوا: ببقاء حليته إلى يومنا هذا ، أمّا علماء أهل السنة قالوا: بحرمته طبقاً لفتوى عمر بن الخطاب، عن ابن حزم الأندلسيّ الظاهريّ (٣٨٤ – ٤٥٦هـ) نقلًا عن أبي قلابة قال: قال عمر بن الخطاب: «متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنّا أنهى عنهما وأعاقب عليهما»[2].

السيد الخوئيّ (١٣١٧ – ١٤١٣هـ) يقول: «قد أجمعت الشيعة الإمامية على بقاء حلية المتعة وأنَّ الآية المباركة لم تنسخ، ووافقهم على ذلك جماعة من الصحابة والتابعين، قال ابن حزم: ثبت على إباحتها [المتعة] بعد رسول الله ﷺ ابن مسعود، ومعاوية، وأبو سعيد، وابن عباس، وسلمة، ومعبد ابنا أمية بن خلف، وجابر، وعمرو بن حريث، ورواه جابر عن جميع الصحابة: مدة رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر إلى قرب آخر خلافة عمر ثم قال: ومن التابعين طاووس، وسعيد بن جبير، وعطاء وسائر فقهاء مكة»[3] ، وعن أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١هـ) في مسنده عن عمران بن حصين انّه قال: «نزلت آية المتعة في كتاب الله تبارك وتعالى وعملنا بها مع رسول الله ﷺ فلم تنزل آية تنسخها ولمْ ينه عنها النبي ﷺ حتى مات»[4].

وأخرج الترمذي (٢٠٩ – ٢٧٩هـ) أنّ رجلًا من أهل الشام سأل ابن عمر عن المتعة، فقال: «هي حلال، فقال الشامي: إنّ أباك قد نهى عنها؟ فقال ابن عمر: أرأيت إنْ كان أبي

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٤.
(٢) ابن حزم علي بن أحمد المحلى ، ٧ / ١٠٧.
(٣) البيان في تفسير القرآن ، الخوئيّ، أبو القاسم بن علي أكبر ، ٣١٤.
(٤) مسند أحمد بن حنبل ، ٤ / ٤٣٦.

قد نهى عنها وقد صنعها رسول الله ﷺ أمر أبي نتّبع أم أمر رسول الله ﷺ»[1] ،وقد كان عبد الله بن عباس متشددًا في تحليلها، وكان يعترض على تحريم الثاني لها ؛ يقول ابن عبد البر المالكيّ (ت٤٦٣هـ) نقلًا عن ابن عباس: «ما كانت المتعة إلّا رحمة من الله تعالى رحم بها أمة محمد ﷺ، ولولا نهيه عنها لما احتاج إلى الزنا إلّا شقي»[2] ، وابن مسعود قرأها: (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ إلى أجل مسمّى فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ) بزيادة جملة: (إلى أجل مسمّى) هذه الزيادة على أساس التفسير والبيان ، وتأكيد على أنّه في حال إيضاح وبيان حكم نكاح المتعة وليست بقصد القرآنية.

النموذج السابع: حكم الإيلاء قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٢٢٦ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[3] تتحدث هاتان الآيتان عن حكم الإيلاء: القسم على ترك وطء الزوجة وهو تقليد جاهلي كان شائعًا بين العرب، واستمر معمولًا به عند المسلمين الجدد قبل نزول حكم الطلاق عندما كان يغضب الرجل على زوجته يقسم على عدم وطئها، فيشدد عليها بهذه الطريقة الفضة، لا هو يطلق سراحها بالطلاق لتتزوج من رجل آخر، ولا يعود إليها بعد هذا القسم ليصالحها وهذا لا يضر بالرجل؛ لأنه غالبًا يتمتع بعدة زوجات والآية الكريمة وضعت لهذه القضية حدًا ، فذكرت أنَّ الرجل يستطيع في مدة أقصاها أربعة أشهر أنْ يتخذ قرارًا بشأن زوجته ، إمّا أنْ يعود عن قسمه ويعيش معها ، أو يطلقها ويخلي سبيلها قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ والغاية من الإمهال أربعة أشهر: إعطاء الفرصة للزوج ليفكر في أمره مع زوجته وينقذها من هذا الحال ثم تضيف: ﴿فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي إنْ رجعوا وجدوا الله غفورًا رحيمًا، وهي تدل أنَّ العودة عن هذا القسم ليس ذنبًا، وإنْ ترتب الكفارة عليه ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي فلا مانع من ذلك مع توفر الشروط اللازمة ولو أهمل الزوج كلا الطريقين ولم يختر أحدهما، فلم يرجع إلى الحياة

(١) سنن الترمذي ، ٢ / ١٥٩.
(٢) الاستذكار ، ابن عبد البر المالكيّ يوسف بن عبد الله ، ٥ / ٥٠٦.
(٣) سورة البقرة ، الآيتان : ٢٢٦ ، ٢٢٧.

الزوجية السليمة ولمْ يطلق ، ففي هذه الصورة يتدخل حاكم الشرع ويأمر بإلقاء الزوج في السجن، ويشدد عليه حتى يختار أحدهما، وينقذ الزوجة من حالتها المعلقة فالإسلام وإنْ لم يلغ حكم الإيلاء نهائيًا، لكنه أزال آثار هذه الظاهرة، لأنّه لمْ يسمح للرجل أنْ ينفصل عن زوجته بالإيلاء[1] ، وهناك تفصيل في كتب الفقه حول حكم الإيلاء أعرضنا عنه تجنبًا عن الإطالة ، وهذه الآية قرأها ابن مسعود: (فإن فَاءُوا فيهنَّ)[2] بزيادة كلمة (فيهنَّ) الضمير هنا يعود للأشهر أي فإنْ فاؤوا رجعوا عن حلفهم في الأشهر وجدوا الله غفورًا رحيمًا، وعليه فقط الكفارة وهو في مقام التأكيد على أنَّ مدة التربص الانتظار هي أربعة أشهر والغاية منها إعطاء الزوج فرصة ليفكر في أمره مع زوجته وليست هي زيادة قرآنية.

المجموعة الثانية: بيان سبب نزول الآية

تعرض ابن مسعود في بعض القراءات التي نسبت له إلى بيان سبب نزول بعض الآيات، حيث أدرج بين بعض آيات القرآن الكريم جملة إيضاحية دلّت على ذلك ، وقد ذكرنا سابقًا نموذج آية من سورة الحجرات نزلت في وفد من بني تميم حيث قرأها: (أَكْثَرُهُمْ بنو تميم لا يَعْقِلُونَ) ، وهذه الزيادة ليست اجتهادات شخصية وإنما اطلاعه ومعرفته بنزول بعض آيات القرآن فعمد إلى إدراجها على سبيل الإيضاح ، وبيان ما سمعه مشافهة عن النبي الأكرم ﷺ عندما يتولى شرحها ، وتفصيلها للصحابة وسوف نتعرض إلى بعض من هذه النماذج:

النموذج الثامن: رهط المخلصين قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] قرأ عبد الله بن مسعود: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * ورَهْطَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) بزيادة: (ورَهْطك منهم المُخلَصين) بفتح اللام ، ونسبت هذه

(١) انظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٢ / ١٤٢ بتصرف.
(٢) تفسير البحر المحيط ، ٢ / ١٩٣.
(٣) سورة الشعراء ، الآيتان : ٢١٤ ، ٢١٥.

القراءة إلى الإمام جعفر الصادق [1] عليه السلام وأيضًا قرأها ابن عباس [2] ، وذكرت هذه القراءة على لسان علماء أهل السنة في كتبهم [3] ، الآية تتعرض إلى إنذار النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في بداية دعوته إلى الأقربين من عشيرته ، فالزيادة التي ذكرها ابن مسعود تهدف إلى إيضاح أنَّ الذين استجابوا لدعوته من عشيرته المقربين فقط رهط من المُخلَصين دون السبعة إلى الثلاثة نفر [4]؛ وكأنما هو في حال بيان فضلهم ومنزلتهم من بين هذه العشيرة ، وقد بيّن ابن منظور (٦٣٠ - ٧١١هـ) معنى المُخْلَص قائلًا: «الذي أَخْلَصه الله وجعله مُختارًا خالصًا من الدنس» [5] ، والإمام الباقر عليه السلام تطرق لهذا الرهط وسمّاهم بأسمائهم وقال: «عليّ وحمزة وجعفر والحسن والحسين وآل محمّد صلوات الله عليهم خاصّة» [6].

النموذج التاسع: ولاية النبيّ على المؤمنين قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [7] ابن مسعود قرأها: (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وهو أب لهم وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) [8] باعتبار أنَّ الآية بينت أنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله له الولاية المطلقة على المؤمنين ، وأنَّ أزواجه أمهات المؤمنين فأضاف ابن مسعود عبارة: (وهو أب لهم) لتنسجم الآية وتبين أنَّه صلى الله عليه وآله أب لهم في الدين ، وعليه صار المؤمنون إخوة ولعله تمسك بقول النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة أنا وعلي الوالدان» [9] ، بلا شك أنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يصبح أب لهم في الدين وهذا من باب التوضيح والتفسير.

النموذج العاشر: بلاغ الرسول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ

(١) مجمع البيان ، ٧ / ٣٥٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم الرازي عبد الرحمن بن محمد ، ١٠ / ٣٤٧٣.
(٣) صحيح البخاري ، البخاري محمد بن إسماعيل ، ٩٤ ؛ صحيح مسلم ، النيسابوري مسلم بن الحجاج، ١ / ١٣٤ ؛ السنن الكبرى ، البيهقي أحمد بن الحسين ، ٩ / ٧.
(٤) كتاب العين ، ٤ / ١٩.
(٥) لسان العرب ، ٧ / ٢٦.
(٦) تفسير القمي ، القمي علي بن إبراهيم ، ٢ / ١٢٦.
(٧) سورة الأحزاب ، الآية : ٦.
(٨) الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ، ٣ / ٢٥١.
(٩) مناقب آل أبي طالب ، ٢ / ٣٠٠.

رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1] ابن مسعود (ت٣٢هـ) يقول: (كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أنَّ علياً مولى المؤمنين ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾)[2]، حيث أضاف عبارة: (أنَّ عليًا مولى المؤمنين)، وهذه الزيادة هي التعرض لبيان سبب نزول هذه الآية الكريمة في واقعة الغدير عندما أمر النبي الأكرم ﷺ أنْ يبلغ فيه، فأخذ ﷺ بيد علي بن أبي طالب ﷺ فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، والآية نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بإجماع الشيعة الإمامية وأهل السنة، نقلها جمع غفير من العلماء المتقدمين والمتأخرين في كتبهم وتفاسيرهم، وابن مسعود في حال إيضاح سبب نزول هذه الآية فأضاف (أنَّ عليًا مولى المؤمنين) معلنًا ولاية أمير المؤمنين ﷺ في يوم الغدير وليست قراءة بعرض القرآن.

النموذج الحادي عشر: قوله تعالى: ﴿وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[3] ابن مسعود (ت٣٢هـ) قرأها: (وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ بعلي بن أبي طالب)[4] حيث أضاف اسم (علي بن أبي طالب)، وهذه الإضافة لم تأت اعتباطًا بل هو في حال إيضاح وبيان سبب نزول هذه الآية الكريمة كما نقلها علماء الشيعة الإمامية وأهل السنة في تفاسيرهم؛ حيث نزلت هذه الآية الكريمة في غزوة الخندق والله تعالى كفى المؤمنين القتال بعلي بن أبي طالب ﷺ بعدما اجتمع المشركون وتحزبوا ضدهم، وأول مبارزة فيها حدثت بين الإمام علي بن أبي طالب ﷺ وفارس قريش المشهور عمرو بن عبد ود العامري الذي كان يعد بألف فارس، ضربه ﷺ ضربة فهلك وقد وصف النبي الأكرم ﷺ هذه الضربة قائلًا:

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ٢٣٩، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكاني، ١ / هامش ٢٥٦؛ الدر المنثور، السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر، ٢ / ٢٩٨؛ فتح القدير، الشوكاني، ٢ / ٦٠؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي محمود بن عبد الله، ٦ / ١٩٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.

(٤) التبيان في تفسير القرآن، ٨ / ٣٣١؛ الدر المنثور، ٥ / ١٩٢؛ تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر علي بن الحسن، ٤٢ / ٣٦٠.

«أبشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمد لرجح عملك بعملهم، وذلك أنه لمْ يبق بيت من المشركين إلّا ودخله وهن، ولا بيت من المسلمين إلّا ودخله عز بقتل عمرو»[1]، ولما هلك عمرو وخذل الأحزاب، أرسل الله عليهم ريحًا وجنودًا من الملائكة فولوا مدبرين بغير قتال، وبهذا السبب أنزل الله تعالى: ﴿وكَفَى الله الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ﴾ بعلي بن أبي طالب عليه السلام، وكان ابن مسعود في حال بيان وتوضيح سبب نزول هذه الآية فأدرج اسم (علي بن أبي طالب) بين الآيات وهي ليست قراءة.

المجموعة الثالثة: إيضاح معنى تفسيري أو بيان معنى لغوي رفع إبهام :

هناك نماذج متفرقة من القراءات الشاذة التي نسبت لابن مسعود تنوعت الغاية من ذكرها ، حيث تناول بعضها على سبيل إيضاح معنى تفسيري ، أو بيان معنى لغوي ، أو كان في حال رفع إبهام ، وسوف نستعرض بعضها:

النموذج الثاني عشر: السعي للصلاة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله﴾[2].

الفرع الأول: وجوه القراءات

أولًا: ﴿فَاسْعَوْا﴾ وهي قراءة عاصم الكوفيّ (ت١٢٨هـ) التي رواها عنه حفص الكوفيّ (ت١٨٠هـ) وأيضًا قرأها بقية القرّاء وهي القراءة المتداولة المطابقة للرسم القرآني.

ثانيًا: (فَامْضُوا) وهي قراءة ابن مسعود[3](ت٣٢هـ) وعند البحث والتحقيق ، وقفنا على بعض الصحابة ذكروا هذا القول منهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[4] ، وأبّي بن

(١) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ، ٢ / ١٢.
(٢) سورة الجمعة ، الآية : ٩.
(٣) قال ابن أبي شيبة: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم قال: كان عبد الله [ابن مسعود] يقرأها: فامضوا إلى ذكر الله ويقول: «لو قرأتها (فاسعوا) لسعيت حتى يسقط ردائي». المصنف، ابن أبي شيبة، ٢ / ٦٤.
(٤) الطبرسي الفضل بن الحسن تفسير مجمع البيان ج١٠ ص١٣.

كعب[١] ، وعمر بن الخطاب[٢] وغيرهما ، وهي القراءة المخالفة للرسم القرآني.

الفرع الثاني: معنى الآية عند علماء اللغة

قبل البحث في معنى قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ الله﴾ و(فَامْضُوا إلى ذِكْرِ اللهِ) نبيّن أولًا معناهما اللغوي؛ ليتضح لنا الفارق بينهما.

الطريحيّ (٩٧٩ – ١٠٨٥هـ) تعرض لمعنى (سَعَى) قائلًا: «قوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ الله﴾ أي بادروا بالنية والجد، ولم يرد العدو والإسراع في المشي، والسعي يكون عدوًا ومشيًا وقصدًا وعملًا، ويكون تصرفًا بالصلاح والفساد والأصل فيه المشي السريع ، لكنه يستعمل لما ذكر وللأخذ في الأمر»[٣] ، وفي موضع آخر بينّ الطريحيّ (٩٧٩ – ١٠٨٥هـ) معنى مضى حيث قال: «مضى: سار وذهب»[٤] ، المتبادر من ظاهر معنى السعي والمضي وما ينصرف إليه الذهن أنه لا فرق بينهما ، ولكن أهل اللغة يفرقون بينهما فالسعي المقصود به هو السير والمشي العادي وبقول الطريحيّ (٩٧٩ – ١٠٨٥هـ): «الأصل فيه المشي السريع» والعرف يفهم منه ذلك ، أمّا المضي فمعناه السير والمشي السريع والذهاب ، قال قَتَادة (٦٠ – ١١٨هـ): «امضوا إلى الصلاة مسرعين غير متغافلين»[٥].

الشيخ الطبرسيّ (٤٧١ – ٥٤٨هـ) نسب قراءة (فَامْضُوا)[٦] إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (ت٤٠هـ) باعتباره أوّل المفسرين ، وعنده علم الآيات ونزولها فلابد أنْ نحمل هذه القراءة على أنّه عليه السلام في حال تبيين وتفسير معنى قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا﴾ لا قراءة أخرى للقرآن ، وهي بلا شك ليست من القرآن بشيء وأغلب العلماء يحملونها على أنها تفسير ،

(١) السيوطي الشافعي قال: عن عبد بن حميد أنَّ أُبَيّ كان يقرأها: «فامضوا إلى ذكر الله» ، الدر المنثور ، ١٠ / ٦.

(٢) قال ابن إدريس الشافعي: أخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن سالم عن أبيه قال: «ما سمعت عمر قط يقرؤها إلا: فامضوا إلى ذكر الله». كتاب الأم ، ١ / ٢٢٥.

(٣) مجمع البحرين ، الطريحي فخر الدين بن محمد علي ، ١ / ٢١٨.

(٤) المصدر السابق ، ١ / ٢١٦.

(٥) فقه القرآن ، قطب الدين الراوندي سعيد بن هبة الله ، ١ / ١٣٢.

(٦) تفسير مجمع البيان ،الطبرسي ، ١٠ / ١٣.

من مثل أبو حيان الأندلسيّ المالكيّ (٦٥٤ – ٧٤٥هـ) تعرض لها وبيّن معناها عند الصحابة قائلًا: «قرأ كبراء من الصحابة والتابعين: فامضوا بدل (فَاسْعَوْا)، وينبغي أنْ يحمل على التفسير من حيث أنه لا يراد بالسعي هنا الإسراع في المشي، ففسروه بالمضي، ولا يكون قرآنًا لمخالفته سواد ما أجمع عليه المسلمون»[١] ، ولكن بعض الصحابة توهموا بقراءة (فَامْضُوا) وجعلوها قراءة وتمسكوا بها كقراءة للقرآن حتى آخر عمرهم حيث قيل لعمر: إنَّ أبيًا يقرؤها: فاسعوا قال: «أما أنه أقرؤنا وأعلمنا بالمنسوخ وإنّما هي فامضوا»[٢]. وقال سالم بن عبد الله بن عمر، أنَّ عبد الله قال: «لقد توفى الله عمرا، وما يقرأ هذه الآية التي ذكر الله فيها الجمعة: يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة إلاّ فامضوا إلى ذكر الله»[٣].

حتى الثعالبيّ المالكيّ (٧٨٦ – ٨٧٥ هـ) ذكر توهم البعض في تفسير السعي وقال: «القراءة الأولى يتوهم منها وجوب السرعة في المشي إلى صلاة الجمعة، ولكن القراءة الثانية رفعت هذا التوهم ؛ لأنّ المضي ليس من مدلوله السرعة»[٤].

إذن هناك توهم حصل في ذهن من قرء ﴿فَاسْعَوْا﴾ حيث ظنوا المقصود منها السرعة في المشي لأداء الصلاة أما لفظ (فَامْضُوا) فأنه بنظرهم يعني الذهاب والمشي العادي لذا طبق رأيهم واجتهادهم الشخصي بدلوا اللفظ القرآني إلى لفظ آخر وهو (فَامْضُوا) ؛ لتكون أكثر تناسبًا ويكون المعنى بنظرهم ملائماً للذهاب لأداء الصلاة ، وهذا توهم منهم علمًا أنَّ النبي الأكرم ﷺ لا يستطيع وليس من حقه أنْ يبدل كلام الله تعالى ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٥] فلا ندري كيف يتجرأ البعض بذلك ، وقد فسرّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قوله ﴿فَاسْعَوْا﴾ بـ (فَامْضُوا) ولعله نقلها بعض الصحابة عنه بأنّها معنى تفسيري وليست قراءة ثانية ، ولكن تناقلت عبر الأجيال على أنها قراءة والله العالم .

(١) تفسير البحر المحيط ، ٨ / ٢٦٥.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري محمد بن جرير ، ٢٨ / ١٢٧ ، ح٢٦٤٢٩.
(٣) المصدر السابق ، ٢٨ / ١٢٧.
(٤) جواهر الحسان في تفسير القرآن ، ١ / ١٠٦.
(٥) سورة يونس ، الآية : ١٥.

الفرع الثالث: معنى الآية عند علماء المذاهب الإسلامية :

تعرض علماء المذاهب الإسلامية لبيان معنى هاتين القراءتين في تفاسيرهم وسوف نذكرهم حسب تاريخ وفاتهم كما يلي:

أ- الطبري الشافعيّ (٢٢٤ – ٣١٠هـ) فسّرها بقوله: «فامضوا إلى ذكر الله، واعملوا له؛ وأصل السعي في هذا الموضع العمل»[١].

ب- ابن أبي حاتم الرازيّ (٢٤٠ – ٣٢٧هـ) حول قوله تعالى: ﴿فاسعوا إلى ذِكْرِ الله﴾ يقول: سُئل الحسن البصري عنها فقال: «ما هو بالسعي على الأقدام ولقد نهوا أنْ يأتوا الصلاة إلّا وعليهم السكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنية والخشوع»[٢].

ج- الثعالبيّ المالكيّ (٧٨٦ – ٨٧٥ هـ) حول قوله تعالى: ﴿ فاسعوا إلى ذِكْرِ الله﴾، قال: «السعي في الآية لا يراد به الإسراع في المشي ، وإنما هو بمعنى قوله: ﴿وَأَن لَّيْسَ للإنسان إِلاَّ مَا سعى﴾[٣] فالسعي هو بالنية والإرادة والعمل من وضوء وغسل ، ومشي ولبس ثوب كل ذلك سعي»[٤].

د- فتح الله الكاشاني (ت ٩٨٨هـ) قال: «فامضوا إليه مسرعين قصدًا غير متثاقلين، فإنّ السعي دون العدو»[٥].

هـ- العلامة الطباطبائيّ (١٣٢١ – ١٤٠٢هـ) يقول: «يريد أنَّ السعي ليس هو الإسراع في المشي فحسب»[٦].

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٢٨ / ١٢٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم) ، ١٠ / ٣٣٥٧.
(٣) سورة النجم ، الآية : ٣٩.
(٤) جواهر الحسان في تفسير القرآن ، ٥ / ٤٣٠.
(٥) زبدة التفاسير ، الكاشاني فتح الله بن شكر الله ، ٧ / ٦٠.
(٦) الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي محمد حسين ، ١٩ / ٢٧٦.

رأي الباحث :

أمر الله تعالى المؤمنين أنْ يأتوا الصلاة ويقصدوها بنية خالصة له تعالى ، وبقلوب خاشعة تعلوهم السكينة والوقار، وليس غايته إتيانها بالمشي السريع ، وفي كتابه الكريم أمرنا الله تعالى قائلًا: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ والعلامة جواد مُغنية (١٣٢١ - ١٤٠٠هـ) وضّح معنى القصد حيث قال: «من القصد، وهو وسط بين الإفراط والتفريط لا تبطئ، ولا تسرع، واتخذ بين ذلك سبيلًا»[١] ، فكيف يطلب الله تعالى من المؤمنين السرعة والعجلة لأداء الصلاة وهي مكروهة ، قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام (٨٣ ١٤٨هـ) : «سرعة المشي تذهب ببهاء المؤمن»[٢] ، أي تذهب هيبته وجماله ويقع من أنظار الناس ، فالصحيح السعي للصلاة والتوجه لها ليس بسرعة المشي كما توهم البعض وفسّروا ظاهر اللفظ والدليل على ذلك:

أولًا: ظاهر الآية القرآنية لا تدل على السرعة في المشي بل الغرض منها المضي للصلا، ذكر ابن الجني (٣٣٠ - ٣٩٢هـ) هذا وقال: «﴿فَاسَعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾، أي: فاقصدوا، وتوجهوا وليس فيه دليل على الإسراع، وإنما الغرض المضي إليها»[٣].

ثانيًا: نقل أنه سُئل علي عليه السلام عن السعي في إتيان صلاة الجمعة قال: «ليس السعي الاشتداد، ولكن يمشون إليها مشيًا»[٤].

ثالثًا: قراءة (وامضوا) مخالفة للرسم القرآني ، وليس لها أثر في المصحف وهي أخبار آحاد لا تجلب الاطمئنان ذكرت من قبل ثلة قليلة ولم ينقلها غيرهم.

رابعًا: مخالفتها لبلاغة القرآن الكريم وللسياق القرآني ، يقول العلامة العسكري: «ويناسب في المقام قول ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ وليس

(١) التفسير الكاشف ، مُغنيَّة محمد جواد بن محمود ، ٦ / ١٥٩ .
(٢) مكارم الأخلاق ، الطبرسّي الفضل بن الحسن ، ٢٥٧ .
(٣) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات ، ابن جني عثمان بن جني ، ٢ / ٣٢١ .
(٤) دعائم الإسلام ، القاضي المغربي النعمان ، ١ / ١٨٢ .

(وامضوا) والتغيير يخالف البلاغة والسياق القرآني»[1].

إذن القراءة الصحيحة ﴿فَاسْعَوْا﴾ وقراءة (فَامْضُوا) نحملها على أنّها وردت من باب التفسير وبيان معنى للمخاطب ، وقد اختلط عند البعض وتوهموا بأنّها قراءة وهي في الواقع ليست قراءة أخرى للقرآن الكريم.

النموذج الثالث عشر: وصف حال المنافقين قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾[2].

الفرع الأول: وجوه القراءات

أولًا: قراءة عاصم الكوفيّ (ت١٢٨هـ) ﴿ مَشَوْا فِيهِ ﴾ التي رواها عنه حفص الكوفيّ (ت١٨٠هـ) ، وأيضاً قرأها بقية القرّاء وهي القراءة المطابقة للرسم القرآني.

ثانيًا: قراءة ابن مسعود (ت٣٢هـ): (مَضوا فِيهِ)[3] (مَرّوْا فِيهِ) و(سَعوْا فِيهِ)[4] وقد ذكر القرطبي في تفسيره أحكام القرآن ؛ أنَّ هذه القراءة أيضًا منسوبة إلى أبيّ بن كعب (ت٣٠هـ) حيث قرأها (مَرّوْا فِيهِ) و(سَعوْا فِيهِ)[5] ، وهذه القراءات مخالفة للرسم القرآني.

الفرع الثاني: معنى الآية عند علماء اللغة

تعرضنا سابقًا للمعنى اللغوي لكلمتي (اسْعَوْا) و(امْضُوا) ، أما معنى كلمة (مَشَوْا) في اللغة ، فيقول ابن فارس المالكيّ (٣١٢ – ٣٩٥هـ): «مشي يمشي مشيًا يدل على حركة الإنسان»[6] ، وهي جمع مشى و(مَرّوْا فِيهِ) ، والجَوْهَريّ (٣٣٢ – ٣٩٣هـ) يقول: «مرَّ عليه وبه يمر مرًّا ومرورًا أي: ذهب»[7] وهي جمع مرَّ وسار.

(١) القرآن الكريم وروايات المدرستين ، العلامة العسكري مرتضى ، ٣، / ٧٢٦.
(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٠.
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ١ / ١٠٤ ؛ تفسير البحر المحيط ، ١ / ٢٢٨.
(٤) البرهان في علوم القرآن ، ١ / ٢٢١.
(٥) الجامع لأحكام القرآن ، ١ / ٤٠٢.
(٦) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس أحمد بن فارس ، ٥ / ٣٢٥.
(٧) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجَوْهَري إسماعيل بن حمَّاد ، ٢ / ٨١٥.

الفرع الثالث: معنى الآية عند علماء المذاهب الإسلامية

تعرض علماء المذاهب الإسلامية لبيان معنى: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾[1] كما يلي:

أولًا: أقوال علماء الشيعة الإمامية

نقتصر على العلامة السيد الطباطبائيّ (١٣٢١ - ١٤٠٢هـ) أحد أعلام الشيعة الإمامية في بيان معنى الآية حيث يقول: «حال المنافقين في إظهارهم الإيمان، أنهم كالذي أخذه صيب السماء ومعه ظلمة تسلب عنه الأبصار والتمييز، فالصيب يضطره إلى الفرار والتخلص، والظلمة تمنعه ذلك، والمهولات من الرعد والصاعقة محيطة به فلا يجد مناصًا من أنْ يستفيد بالبرق وضوئه وهو غير دائم ،و لا باق متصل كلما أضاء له مشى ، وإذا أظلم عليه قام وهذه حال المنافق فهو لا يحب الإيمان ولا يجد بدًّا من إظهاره، ولعدم المواطأة بين قلبه ولسانه لا يستضيء له طريقه تمام الاستضاءة، فلا يزال يخبط خبطًا بعد خبط ويعثر عثرة بعد عثرة فيمشي قليلاً ، ويقف قليلاً ويفضحه الله بذلك ولو شاء الله لذهب بسمعه وبصره فيفتضح من أول يوم»[2].

ثانيًا: أقوال علماء أهل السنة

نقتصر على الفخر الرازيّ الشافعيّ (٥٤٤ - ٦٠٦هـ) أحد علماء أهل السنة حيث شبه حال المنافقين قائلًا: «أنّه إذا حصل السحاب الذي فيه الظلمات والرعد والبرق ، واجتمع مع ظلمة السحاب ظلمة الليل وظلمة المطر عند ورود الصواعق عليهم يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ، وأنّ البرق يكاد يخطف أبصارهم، فإذا أضاء لهم مشوا فيه، وإذا ذهب بقوا في ظلمة عظيمة فوقفوا متحيرين ؛ لأنَّ من أصابه البرق في هذه الظلمات الثلاث ثم ذهب عنه تشتد حيرته وتعظم الظلمة في عينه، وتكون له مزية على من لم يزل في الظلمة، فشبه المنافقين في حيرتهم وجهلهم بالدين بهؤلاء الذين وصفهم، إذ كانوا لا يرون طريقًا ولا يهتدون، وثانيها: أنَّ المطر وإنْ كان نافعًا إلّا أنّه لما وجد في هذه الصورة

(١) سورة البقرة البقر ، الآية ة: ٢٠.
(٢) الميزان في تفسير القرآن ، ١ / ٥٦.

مع هذه الأحوال الضارة صار النفع به زائلًا، فكذا إظهار الإيمان نافع للمنافق لو وافقه الباطن فإذا فقد منه الإخلاص وحصل معه النفاق صار ضررًا في الدين»[1].

رأي الباحث :

هذه الألفاظ (مشى ، مضى ، سعى ، مرَّ) من حيث الشكل والهيئة مختلفة تمامًا ، أمّا من حيث المعنى فإنَّها في الظاهر تدل على حركة الإنسان وسيره وذهابه ، يعني هي ألفاظ متقاربة والمتبادر للذهن أنّه لا فرق بينهما ، ولكن أهل اللغة فرّقوا بينها بنوع المشي والسير؛ وهذا من جمال اللغة العربية وبلاغة القرآن الكريم في تنوع الألفاظ ، و صوّر القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة مشهد جميل واختار أفضل الألفاظ لبيانه (مشوا) ليشبه حال المنافقين، وقلقهم وفزعهم في ليلة مظلمة غزيرة الأمطار مليئة بوميض البرق يصحبها صوت الرعد فالمشي يناسب هذا المقام ، وهؤلاء عند وميض البرق يمشون وإذا انقطع وقفوا مذهولين متحيرين لا يذهبون يعتريهم الخوف والفزع من شدَّة الموقف ، حيث صور أيمانهم وتخبطهم في الدين فهم يمشون قليلًا بمقدار إضاءة البرق ويتوقفون حتى يضيء لهم لم يذوقوا طعم الإيمان في قلوبهم ، ولسانهم يخالف قلبهم يتظاهرون بالإسلام وهم في حيرة من أمرهم لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ ومشيهم هذا مصحوب بخوف وفزع.

وعليه لا يوجد فرق في المعنى بين هذه القراءات وبين القراءة الأولى المطابقة للرسم القرآني ، ويتضح القول من احتمال أنَّ ابن مسعود (٣٢هـ) في حال السؤال عن قوله تعالى: ﴿مَشَوْا فِيهِ﴾ وبيّن للسائل معناها فقال: (مَضوْا فِيهِ) (مَروْا فِيهِ) (سَعوْا فِيهِ) ، أو أنّه عندما دوّن مصحفه وضع هذه المعاني بين الكلمات القرآنية لفهم معنى الآية ؛ لذا لابد أنْ نحمل هذه القراءات علي أنّها قراءات تفسيرية لبيان معنى وإيضاح اللفظ ، وليست قراءات قرآنية بعَرض القرآن.

النموذج الرابع عشر: العهن المنفوش قال تعالى: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾[2].

(١) مفاتيح الغيب ، الدين الرازي محمد بن عمر ، ٣٠ / ١٢٥.
(٢) سورة القارعة ، الآية : ٥.

الفرع الأول: وجوه القراءات

أولًا: (كَالْعِهْنِ) وهي قراءة عاصم الكوفيّ (ت١٢٨هـ) التي رواها عنه حفص الكوفيّ (ت١٨٠هـ) ، وأيضاً قرأها بقية القرّاء وهي القراءة المطابقة للرسم القرآني.

ثانيًا: (كالصوف) وهي قراءة ابن مسعود (ت٣٢هـ)[١] ، وأيضًا نسبت هذه القراءة إلى سعيد بن جبير (ت٩٥هـ)[٢] وهي قراءة مخالفة للرسم القرآني.

الفرع الثاني: معنى الآية عند علماء اللغة

الخليل الفَراهيديّ (١٠٠ – ١٧٥هـ) يقول: «العهن: الصوف ويقال: المصبوغ ألوانًا من الصوف قال عرام: لا يقال إلّا للمصبوغ ، والقطعة عِهْنَةٌ والجمع عهون»[٣] ، وقد حققنا في كلمات علماء اللغة أنّهم يقولون أنَّ الصوف لا يقال له عِهْن إلّا إذا كان مصبوغًا.

الفرع الثالث: معنى الآية عند علماء المذاهب الإسلامية

بيَّن علماء المذاهب الإسلامية معنى الآية كما يلي:

أولًا: أقوال علماء الشيعة الإمامية

نقتصر على بعض علماء الشيعة الإمامية من المتقدمين والمتأخرين في بيان معناها:

أ- الشيخ الطبرسيّ (٤٧١ – ٥٤٨هـ) يقول: «شَبَّهَ الجِبال بِـ (الْعِهْنِ) وهو الصُّوفُ المُصَبَّغُ أَلْوانًا ؛ لأنّها ألوانٌ، وبِـ ﴿الْمَنفُوشِ﴾ منْهُ لِتَفَرُّقِ أَجْزَائِها»[٤].

ب- فتح الله الكاشاني (ت ٩٨٨هـ) قال: «كالصوف المصبوغ ألوانًا، لأنّ الجبال مختلفة الألوان، فإذا بسّت وطيّرت في الجوّ أشبهت العهن المنفوش إذا طيّرته الريح»[٥].

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ٥ / ٥١٧.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي ، ٧ / ٢٥.
(٣) كتاب العين ، ١ / ١٠٨.
(٤) تفسير جوامع الجامع ، الطبرسي الفضل بن الحسن ، ٣ / ٨٣٤.
(٥) زبدة التفاسير ، ٧ / ١٨٠.

ج- العلامة الطباطبائيّ (١٣٢١ - ١٤٠٢هـ) يقول: «العهن: الصوف ذو ألوان مختلفة، والمنفوش من النفش وهو نشر الصوف بندف ، ونحوه فالعهن المنفوش: الصوف المنتشر ذو ألوان مختلفة إشارة إلى تلاشي الجبال على اختلاف ألوانها بزلزلة الساعة)[١] ، وفي موضع آخر قال: «العهن: مطلق الصوف، وقيل: هو الصوف الأحمر، وقيل: المصبوغ ألوانًا؛ لأنَّ الجبال ذات ألوان مختلفة فمنها جدد بيض وحمر وغرابيب سود»[٢].

ثانيًا: أقوال علماء الزيدية

نقتصر على الأعثم الزيديّ (ت٨٠٠هـ) حيث شبّه الجبال في تفسير الآية أعلاه قائلًا: «كالصوف المصبوغ المندوف ؛ لأنّها تزول عن أماكنها وتصير كلا شيء»[٣].

ثالثًا: أقوال علماء أهل السنة

أ- الفخر الرازيّ الشافعيّ (٥٤٤ ٦٠٦هـ) يقول: «معنى العِهْن في اللغة: الصوف المصبوغ ألوانًا، وإنّما وقع التشبيه به، لأنّ الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح»[٤].

ب- قال ابن جُزَيّ الكلبيّ المالكيّ (ت٧٤١هـ): «العِهْن هو الصوف، شبّه الجبال به في انتفاشه وتخلخل أجزائه وقيل: هو الصوف المصبوغ ألوانًا فيكون التشبيه في الانتفاش، وفي اختلاف الألوان؛ لأنّ الجبال منها بيض وسود وحمر»[٥].

ج- الآلوسي الحنبليّ الوهابيّ (١٢١٧-١٢٧٠هـ) يقول: «أي الصوف مطلقًا أو المصبوغ، وكان بمعنى صار: أي وتصير جميع الجبال ﴿كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ المفرق بالإصبع ونحوها في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو حسبما ينطق به غير آية»[٦].

(١) الميزان في تفسير القرآن ، ٢٠ / ٣٤٩.
(٢) المصدر نفسه ، ٢٠ / ٩.
(٣) تفسير الأعلم ، الأعثم الزيدي أحمد بن علي ، ٢ / ٣٠٧.
(٤) تفسير مفاتيح الغيب ، ٣٠ / ١٢٥.
(٥) التسهيل لعلوم التنْزيل ، ابن جُزيّ الكلبي محمد بن أحمد ، ٢ / ٤١٠.
(٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ٣٠ / ٢٢١.

رأي الباحث

عبر البحث والتحقيق في كلمات اللغويين تبيّن أنهم فسّروا قوله تعالى: ﴿كَالْعِهْنِ﴾ في وصف الجبال بالصوف ، وهذه اللفظة متداولة عند العرب منذ القدم ، واعتمد المفسرون في تفسيرها على رأي علماء اللغة ، والاستعمال السائد عند العرب في استعمال هذه اللفظة، فهناك إتفاق بين اللغويين والمفسرين بأنَّ معناها الصوف لكنهم اختلفوا في نوع الصوف فقال البعض: هو الصوف الأحمر، وقال آخرون: هو صوف متنوع ألوانه ، وبنظرنا نرجح أنّه الصوف ذات الألوان المتعددة لينسجم مع وصف الجبال حيث وصفها الله تعالى بقوله: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[1] ، فحينما تسير الجبال وتخرُّ هَدّاً[2] تكون كالصوف متنوع الألوان ، فحينما يصف الله تعالى يختار أجمل الألفاظ وأبلغها ، ويكون شامل لجميع جوانبه وقريب من الواقع ، أما المندوف يعني المتفرق شعره بعضه عن بعض المتطاير في الجو ، وهو وصف للجبال مختلفة الألوان عند تلاشيها يوم زلزلة الساعة، وهنا يتضح القول لمن نسب له قراءة (كالصوف) بدلًا عن قراءة قوله تعالى: ﴿كَالْعِهْنِ﴾ ، فتحمل القراءة الأولى على بيان تفسير لكلمة العِهْن وليست قراءة بعرض القرآن ، والظاهر وقع البعض في التباس عند النقل ونسبوها كقراءة بحد ذاتها إلى ابن مسعود ، وهناك كثير من هذه الأمثلة موجودة في الكتب خاصّةً في كتب القراءات والدليل على ذلك:

أولًا: ظاهر معنى الآية القرآنية ودلالة لفظة: ﴿الْمَنْفُوشِ﴾ ينسجم معها حيث يتفرق الصوف الملون في مهب الرياح.

ثانيًا: سياق الآية وصياغتها وجمالها البلاغي يدل على أنّها من القرآن باعتبار أحد إعجازه هي البلاغة بخلاف صياغتها مع عبارة (كالصوف) ، فالله تعالى يختار لكتابه الكريم ألفاظ رائعة وفي منتهى الدَّقة والجمال.

إذن فالقراءة المخالفة للرسم القرآني (كالصوف) هي من باب تفسير وتوضيح معنى

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٧.
(٢) سورة مريم ، الآية : ٩٠.

قوله: ﴿الْمُنْفُوشِ﴾ وليست قراءة للقرآن الكريم.

النموذج الخامس عشر: بيتٌ من زُخرف قال تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾[1].

الفرع الأول: وجوه القراءات

أولًا: (زُخْرُفٍ) وهي قراءة عاصم الكوفيّ (ت١٢٨هـ) التي رواها عنه تلميذه حفص الكوفيّ (ت١٨٠هـ)، وأيضًا قرأها بقية القرّاء وهي القراءة المطابقة للرسم القرآني.

ثانيًا: (ذَهبٍ) قراءة منسوبة لابن مسعود (ت٣٢هـ)[2] وهي القراءة المخالفة للرسم القرآني.

الفرع الثاني: معنى الآية عند العلماء والمفسرين

بعد البحث والتحقيق في أغلب كتب التفسير عند علماء المذاهب الإسلامية حول معنى هذه الآية والآيات التي قبلها وصلنا إلى نتيجة مفادها: أنَّ هناك إتفاق بينهم على أنَّها تتحدث عن عناد كفار قريش أهل مكة وعدم إيمانهم وتصديقهم برسالة النبي الأكرم ﷺ، فجعلوا شرط إيمانهم به وبرسالته أنْ يشقق لهم عيونًا غزيرة تجري منها المياه لحاجتهم لها؛ لأنَّ أرض مكة كانت قليلة المياه وذات أحجار وجبال وعرة، وأيضًا طلبوا منه ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ وأمور أخرى منها: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ أي بيت مبني من الذهب أو مزخرف ومزين به[3].

رأي الباحث:

اتفق المفسرون على أنَّ معنى زخرف في قوله تعالى: ﴿بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ﴾ أي من ذهب طبق القراءة المطابقة للرسم القرآني، أمّا القراءة الثانية فهي (بَيْتٌ مِنْ ذَهبٍ) نسبت هذه القراءة لابن مسعود، ولم نعثر على قائل غيره للكلمتين في القراءتين مختلفتين تمامًا من

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩٣.

(٢) معاني القرآن الكريم، النحاس، ٤ / ١٩٥، تفسير البحر المحيط، ٦ / ٧٨.

(٣) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ١٣ / ٢٠٢، التفسير الكاشف، مُغنيَّة محمد جواد بن محمود، ٥ / ٨٥؛ البيان في تفسير القرآن، الخوئيّ، أبو القاسم بن علي أكبر، ٥١٤، مفاتيح الغيب، ٣ / ٢٣٥؛ التسهيل لعلوم التنْزيل، ابن جُزيّ الكلبي محمد بن أحمد، ١ / ٤٥٤.

حيث الشكل واللفظ ، أمّا من حيث المعنى اللغوي فأنهما متفقتان معنى ﴿زُخْرُفٍ﴾ اتضح سابقًا معناها من كلمات المفسرين ، يقول الثعالبيّ المالكيّ (٧٨٦ - ٨٧٥ هـ) في معنى هذه الآية يقول: «قال المفسرون: الزخرف الذهب في هذا الموضع»[١]، أمّا في اللغة أيضًا تعني الذهب، ويقول ابن سِيدَه (٣٩٨ - ٤٥٨هـ): «الزُّخْرُفُ: الذَّهب، هذا الأصل، ثمَّ سُمِّي كُلّ زِينَة: زُخْرُفًا ، زَخْرف الْبَيْت: زَيَّنه وأكمله، وكل مَا زُوق وزُيِّن، فقد زُخْرِف والتَّزَخْرفُ: التَّزَين»[٢].

وبنظرنا قراءة ابن مسعود (بَيْتٌ مِنْ ذَهبٍ) ليست قراءة أخرى للآية بل هو في حال بيان وتفسير معنى كلمة ﴿زُخْرُفٍ﴾ في الآية الواردة باعتبار أنَّ البعض من كان يحضر جلسات درسه سأله عن معنى كلمة ﴿زُخْرُفٍ﴾ ، أو هو تعرض لبيان معناها ليطلع السامع المخاطب ، وقد وردت في لسان مجاهد[٣] (٢١ - ١٠٤هـ) أنهّا تفسير حيث قال: «كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيت في قراءة عبد الله من ذهب»[٤] ، وهو يتحسر على عدم قراءته لقراءة ابن مسعود حيث قال: «لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج أنْ أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن ممّا سألت»[٥] ، والظاهر أنَّه كثيرًا ما يسأل ابن عباس عن بعض المعاني لذا تحسر وتمنى لو كان يقرأ قراءة ابن مسعود لما فيها من تفسير كثير لمعاني ألفاظ القرآن.

النموذج السادس عشر: الصيحة الواحدة قال تعالى: ﴿ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا

(١) جواهر الحسان في تفسير القرآن ، الثعالبي عبد الرحمن بن محمد ، ٣ / ٤٩٨.
(٢) المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سِيدَه علي بن إسماعيل ، ٥ / ٣٣٧.
(٣) مجاهد بن جبر المكي، المخزومي شيخ القرّاء والمفسرين برع في التفسير وقراءة القرآن والحديث روى عن ابن عباس فأكثر، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه وعرض القرآن عليه ثلاث مرات يقف عند كل آية يسأله، فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ قرأ عليه القرآن ثلاثة من أئمة القراءات، ابن كثير المكي، وأبو عمرو بن العلاء البصري وابن محيصن وحدّث عنه عكرمة وطاووس وعطاء، وهم أقرانه، وعمرو بن دينار وسليمان الأعمش وجماعة. أفدناه من مقدمة تفسير مجاهد تحقيق: عبد الرحمن الطاهر محمد السورتيّ.
(٤) تفسير البحر المحيط ، ٦ / ٧٨.
(٥) سنن الترمذي ، ٤ / ٣٦٩.

هُمْ خَامِدُونَ﴾[1].

الفرع الأول: وجوه القراءات

أولًا: (صَيْحَةً) وهي قراءة عاصم الكوفيّ (ت١٢٨هـ) التي رواها عنه تلميذه حفص الكوفيّ (ت١٨٠هـ) ، وأيضًا قرأها بقية القرّاء وهي القراءة المطابقة للرسم القرآني.

ثانيًا : (زَقيَةً) قراءة منسوبة لابن مسعود (ت٣٢هـ)[2] وهي القراءة المخالفة للرسم القرآني.

الفرع الثاني: معنى الآية عند العلماء والمفسرين

تتحدث الآية الكريمة عن هلاك قوم بعدما قتلوا رُسل الله ، فالله تعالى لمْ ينزل عليهم جُند من السماء ليهلكهم ، بل أتاهم العذاب فجأة بصيحةٍ واحدة عظيمة ومن شدَّة عظمتها عندما سمعوها سكنت أرواحهم ، فماتوا جميعًا دفعةً واحدة فلم يبق منهم أحد ؛ فالآية فيها دلالة على سرعة هلاكهم بسبب صيحة واحدة لا أكثر هزت أسماعهم فجعلتهم أجسادًا بدون أرواح ، وهو سهل يسير على الله تعالى وهذا المعنى طبق قراءة: (صَيْحَةً) الموافقة للرسم القرآني[3].

وهناك قراءة أخرى وقفنا عليها قرأها ابن مسعود (ت٣٢هـ): (زَقيةً وَاحِدَةً) ، حيث أبدل كلمة (صَيْحَةً وَاحِدَةً) بها أي قرأها هكذا: (إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقيةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ)، وهذا خلاف الرسم القرآني والفرق بين اللفظين شاسع من حيث الشكل

(١) سورة يس ، الآية: ٢٩.

(٢) تفسير مجمع البيان ، الطبرسي الفضل بن الحسن ، ١ / ٣٨، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري محمد بن جرير ، ١ / ٤٠، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ، الزمخشري محمود بن عمر ، ٣ / ٣٢٠، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي عبد الحق بن غالب ، ٤ / ٤٥٢.

(٣) التبيان في تفسير القرآن ، الطوسي محمد بن الحسن ، ٨ / ٤٥٣ ؛ الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائيّ، محمّد حسين ، ١٧ / ٨٠ ؛ تفسير الأعقم ، الزيديّ أحمد بن علي الأعقم ، ٢ / ٦٧، زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي الحنبليّ عبد الرحمن بن علي ، ٥ / ١٩٠، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير الشافعيّ ، ٣ / ٥٧٦.

والمادة.

رأي الباحث :

بحثنا وحققنا حول كلمة: (زَقيةً) في كتب اللغة العربية وقد وقفنا على معناها ؛ يقول ابن منظور (٦٣٠ ٧١١هـ): «زقا الديك زقواً وزقاء وكلُّ صائحٍ زاقٍ والعرب تقول: أنتَ أثْقَلُ من الزَّواقِي هي الدِّيَكةُ، واحدها زاقٍ، يريد أنها إذا زَقَت سَحَراً تفرّق السُّمَّار والأحبابُ والزَّقْيةُ: الصَّيْحةُ»[1] ، حيث تبينّ من كلمات علماء اللغة أنّ معناها صيحة ، وقد شبهوا كل صائح زاق وزقاء الديك أي صياحه.

إذن الفرق بين الكلمتين من حيث هيئة اللفظ مختلف تمامًا ، أمّا معناهما واحد وزقية تعني صيحة ، فعليه أنَّ ابن مسعود (ت٣٢هـ) لمْ يجتهد ويأتي بقراءة جديدة تخالف النص القرآني ، ويؤاخذ على فعله بل هو في حال بيان وتفسير معناها ، ولعله يريد تقريب معنى للسائل فوصف صياح الديك تنبيهًا على عظمة الله تعالى يوم البعث والنشور، وأنّه سهل عليه كزُقية زقاها طائر ، فقال: زقية وهذا الوصف وأراد في كلام ولغة العرب أو أنّه في حال تفسير معنى الصيحة ونسبت له كقراءة.

النموذج السابع عشر: قوله تعالى: ﴿وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾[2] قرأ ابن مسعود (ت٣٢هـ) قوله تعالى: ﴿وَفُومِهَا﴾ (وثومها) باعتبار أنَّ العرب تطلق علي الفُوم الثوم والظاهر لاقتران البصل بعدها ، أمّا الثعلبيّ الشافعيّ (ت٤٢٧هـ) بيّن معناها قائلًا: «يعني الثوم والبصل؛ فالعرب تعاقب بين الفاء والثاء فتقول للصمغ العرفط: مغاثير ومغافير، وللقبر جدف وجدث، ودليل هذا التأويل أنّها في مصحف عبد الله: وثومها»[3].

النموذج الثامن عشر: أمة واحدة قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ

(١) انظر : العين ، الفراهيدي الخليل بن أحمد ، ٥ / ١٩٢، المخصص ، ابن سيده علي بن إسماعيل ، ٢ / ق٣ ١٣٥، لسان العرب ، ابن منظور محمد بن مكرم ، ١٤ / ٣٥٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٦١.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي) ، الثعلبي أحمد بن محمد ، ١ / ٢٧٤.

فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[1] ، حيث قرأها ابن مسعود (ت٣٢هـ): (أُمَّةً وَاحِدَةً فاخْتَلَفُوا) ، يقول الطبريّ الشافعيّ (٢٢٤ – ٣١٠هـ): «وكذلك هي في قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا»[2] فأضاف كلمة (فاخْتَلَفُوا) للتوضيح وزيادة في البيان، وسياق الآية ومعاني كلماتها تدل على هذا المعنى ، فلا تحمل هذه على أنّها قراءة شاذة بل تُحمَل على أنها تفسير.

النموذج التاسع عشر: قوله تعالى: ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾[3] قرأ ابن مسعود (ت٣٢هـ): (فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَهُ)[4] أي تلقاءه، وهو يدل على أنَّ المراد من الشطر: النحو أي وَلُّوا وُجُوهَكُمْ نحو جهة الكعبة المسجد الحرام فهو في حال بيان معنى تفسيري لهذه الكلمة.

النموذج العشرون: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾[5] قرأ عبد الله بن مسعود (ت٣٢هـ): ﴿ تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللهِ ﴾ أي (يُرَدُّون) أما أبّي بن كعب قرأها (تصيرون)[6] وهما في حال بيان معنى تفسيري لهذه الكلمة.

النموذج الحادي والعشرون: فتيان السجن قوله تعالى: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ﴾[7] ، قال أبو حيان الأندلسي المالكيّ (٦٥٤ – ٧٤٥هـ) : «وسمى العنب خمرًا باعتبار ما يؤول إليه وقيل: الخمر بلغة غسان اسم العنب، وقال المعتمر: لقيت أعرابيًا يحمل عنبًا في وعاء ، فقلت: ما تحمل؟ قال: خمرًا، أراد العنب. وقرأ أبي وعبد الله: أعصر عنبًا، وينبغي أنْ يحمل ذلك على التفسير لمخالفته سواد المصحف ، والثابت عنهما بالتواتر قراءتهما أعصر خمرًا ، وعن عبد

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٣.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري محمد بن جرير ، ٢ / ١٤٥٥.
(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٤٤.
(٤) تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف ، ١ / ٦٠٤.
(٥) سورة البقرة ، الآية :٢٨١.
(٦) تفسير البحر المحيط ، ٢ / ٣٥٦.
(٧) سورة يوسف ، الآية : ٣٦.

الله ابن مسعود: (فَوْقَ رَأْسِي ثريدًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ)، وهو أيضًا تفسير للمعنى لا قراءة»[١].

النموذج الثاني والعشرون: نقض العهد قوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢] قرأ عبد الله بن مسعود (ت٣٢هـ): قوله تعالى: ﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ (نَقَضهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ)، حيث بيَّن معنى قوله: ﴿نَبَذَهُ﴾ أي (نَقَضهُ)[٣] فهو في حال إيضاح وبيان معناها.

النموذج الثالث والعشرون: قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لله﴾[٤] قرأ ابن مسعود: (وأتموا الحج والعمرة إلى البيت لله) بزيادة عبارة (إلى البيت) ، يقول أبو حيان الأندلسي المالكيّ (ت٧٤٥هـ): «وينبغي أنْ يُحمل هذا كله على التفسير؛ لأنّه مخالف لسواد المصحف الذي أجمع عليه المسلمون»[٥].

النموذج الرابع والعشرون: وَجِل القلوب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[٦] قرأ عاصم الكوفيّ قوله تعالى: ﴿وَجِلَتْ﴾ وهي القراءة المطابقة للرسم القرآني ، أمّا ابن مسعود (ت٣٢هـ) قرأها: (فَرِقَتْ)[٧] ، أمّا اللغويون فبيّنوا معناها وقالوا أنهّا تعني: (فَزِعَتْ رّقّتْ خّافتْ) والمفسرون اتبعوا أهل اللغة وفسّروها بهذا التفسير فهو في حال إيضاح معنى الكلمة وليس قراءة قرآنية.

النموذج الخامس والعشرون: الحيوان المنطوح قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ... وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾[٨] قرأ ابن مسعود قوله تعالى: ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾

(١) تفسير البحر المحيط ، ٥ / ٣٠٨.
(٢) سورة البقرة ، الآية :١٠٠.
(٣) تفسير البحر المحيط ، ١ / ٤٩٣.
(٤) سورة البقرة ، الآية : ١٩٦.
(٥) تفسير البحر المحيط ، ٢ / ٨٠ .
(٦) سورة الأنفال ، الآية : ٢.
(٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ٢ / ٥٠١.
(٨) سورة المائدة ، الآية : ٣.

(المنطوحة)[1] ، يقول الشيخ الطوسي: «والقول بأنَّ النطيحة بمعنى المنطوحة هو قول أكثر المفسرين: ابن عباس، وأبو ميسرة والضحاك، والسدي وقتادة، لأنّهم اجمعوا على تحريم الناطحة والمنطوحة إذا ماتا»[2]. المقصود من النطيحة في قوله تعالى: هي المنطوحة التي ماتت منه ، وابن مسعود (ت٣٢هـ) في حال إيضاح وتفسير معنى هذه الكلمة.

النموذج السادس والعشرون: موسم الحج قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا الله ﴾[3] ، قرأ ابن مسعود (ت٣٢هـ): (فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ في مواسم الحج)[4] بإضافة عبارة (في مواسم الحج) فهو في حال بيان وإيضاح أنَّ هذه الأعمال في وقت الحج.

النموذج السابع والعشرون: عمل السيئة قوله تعالى: ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ الله وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾[5] قرأ ابن مسعود: (مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِّ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وأنا كتبتها عليك)[6] بزيادة (وأنا كتبتها عليك) باعتبار أنَّ النفس هي السبب في ارتكاب المعاصي ، وابن مسعود في حال تفسير وإيضاح أنَّ السيئة تصدر من نفس الإنسان والله تعالى يكتبها له.

النموذج الثامن والعشرون: ذبح البقرة قوله تعالى: ﴿ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[7] ابن مسعود (ت٣٢هـ) قرأها: (فنحروها وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) ، الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) يقول: «النحر موضع القلادة من الصدر ونحرته أصبت نحره، ومنه نحر البعير»[8] ، فالذبح والنحر معناهما واحد في اللغة وإنْ اختلفا في الهيئة ، وابن مسعود أراد

(١) تفسير البحر المحيط ، ٣ / ٤٣٨.
(٢) التبيان في تفسير القرآن ، ٣ / ٤٣١.
(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٩٨.
(٤)تفسير البحر المحيط ، ٢ / ١٠٣.
(٥) ا سورة لنساء ، الآية : ٧٩.
(٦) الجامع لأحكام القرآن ، ٥ / ٢٨٦.
(٧) سورة لبقرة ، الآية : ٧١.
(٨) مفردات ألفاظ القرآن ، الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد ، ٤٨٥.

إيضاح وبيان هذا المعنى وليست قراءة قرآنية.

النموذج التاسع والعشرون: دعاء موسى قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾[1] ابن مسعود (ت٣٢هـ) قرأها: (سَلْ لَنَا رَبَّكَ)[2] ولا فرق بين قوله تعالى: ﴿ ادْعُ لَنَا ﴾ و (سَلْ لنا) فهو في حال تفسير معنى.

النموذج الثلاثون: فرس الرسول قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾[3] حينما حلّ ميعاد ذهاب موسى ﷺ إلى الطور، أرسل الله تعالى إليه جبرئيل ﷺ راكب حيزوم فرس الحياة ليذهب به، فأبصره السامريّ فقال: إنّ لهذا شأناً فقبض قبضة تراب من تحت موطئ فرس الرسول ، فلمّا سأله موسى ﷺ عن قصّته قال السامريّ: قبضت من أثر فرس الرسول الذي جاء به إليك يوم حلول الميعاد ، وهو لا يعرف أنّ الرسول جبرئيل ﷺ وهذا المعنى متفق عليه في كتب تفسير علماء الشيعة الإمامية وأهل السنة ، ابن مسعود قرأ: (فقبضت قبضة مِنْ أَثَرِ فرس الرَّسُولِ)[4] بزيادة كلمة (فرس) جاءت هذه الزيادة بيان وتوضيح الوسيلة التي استخدمها الرسول وليست قراءة في عرض القرآن.

النموذج الحادي والثلاثون: السفينة الصالحة قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[5] قرأها ابن مسعود: (كُلَّ سَفِينَةٍ صالحة غَصْبًا)[6] ، بزيادة صالحة أي أنَّ السفينة سالمة ولا يوجد فيها عيب ، والمَلك يأخذ السفينة الصالحة السالمة غصبًا ، فأراد أنْ يعيبها حتى لا يأخذها الملك ، وابن مسعود في حال إيضاح وبيان صفة السفينة وليست قراءة قرآنية انفرد بها.

(١) سورة البقرة ، الآية : ٧٠.
(٢) تفسير جوامع الجامع ، الطبرسي الفضل بن الحسن ، ١ / ١١٣.
(٣) سورة طه ، الآية : ٩٦.
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١ / ٤٠٢.
(٥) سورة الكهف ، الآية : ٧٩.
(٦) مجمع البيان ، ٢ / ٤٣٠.

النموذج الثاني والثلاثون: قواعد البيت قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾[1] قرأ ابن مسعود: (ويقولان رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا)[2] بزيادة (ويقولان) ، وهو في حال إيضاح وبيان فعلهما وكأنّها الفعل مضمر وابن مسعود أراد إظهاره وليست زيادة مقابل القرآن الكريم .

النموذج الثالث والثلاثون: وسوسة الشيطان قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا ﴾[3] قرأ عبد الله بن مسعود: (فوسوس لهما الشيطان عنها)[4]، وهذه قراءة مخالفة للنصّ القرآني، فالشيخ الطبرسيّ (٤٧٠ – ٥٤٨هـ) فسّر قوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾ قائلًا: (حملهما على الزلة نسب الإزلال إلى الشيطان، لما وقع بدعائه ووسوسته وإغوائه)[5] ، فالشيطان بوسوسته وخداعه أزلهما عنها وابن مسعود في حال تفسير فعل الشيطان.

النموذج الرابع والثلاثون: إمهال المنافقين قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آَمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾[6] قرأ ابن مسعود: (لِلَّذِينَ آمَنُوا أمهلونا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ)[7] ، حيث قرأ (أمهلونا) بدلاً عن قوله تعالى: ﴿ انْظُرُونَا ﴾ ولا فرق بينهما بلحاظ المعنى اللغوي وهو في حال تفسير وبيان هذا المعنى ، ولعله سمع تفسير هذه الكلمة من النبي الأكرم ﷺ ومن البعيد أنْ يبدل كلمة قرآنية مكان أخرى ليست بقرآن وإنْ كان معناهما واحد.

النموذج الخامس والثلاثون: صفة النعجة قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٢٧ .
(٢) مجمع البيان ، ١ / ٣٨٧.
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٣٦.
(٤) الكشّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ، ١ / ٢٧٤.
(٥) مجمع البيان ، ١ / ١٧١ .
(٦) سورة الحديد ، الآية : ١٣ .
(٧) البرهان في علوم القرآن ، الزركشّي، محمد بن عبد الله، ١ / ٢٢١.

نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[1] قرأ ابن مسعود: (وَلِيَ نَعْجَةٌ أنثى وَاحِدَةٌ)[2]، بزيادة كلمة: (أنثى) حيث وصف هذه النعجة بأنّها أنثى دلالة على ضعفها، وقد صرح النّحاس (ت٣٣٨هـ) حول هذه الزيادة قائلًا: أنّها من باب التأكيد[3]، إذن هذه الزيادة وصف للنعجة والعرب عندما تريد التأكيد تضيف كلمة عليها وليست هي زيادة قرآنية.

النموذج السادس والثلاثون: صوم السكوت قوله تعالى: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾[4] ابن مسعود قرأها: (إِنِّيَ نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَمتاً)[5]، أبو علي الحسن الجُبّائيّ (٢٣٥ - ٣٠٢هـ) يقول: «كان الله تعالى أمرها بأنْ تنذر لله الصمت فإذا كلمها أحد تومئ بأنها نذرت صومًا أي صمتًا؛ لأنه لا يجوز أنْ يأمرها بأنها تقول نذرت ولم تكن نذرت لأنَّ ذلك كذب وقال ابن مسعود: أمرها بالصمت ليكفيها الكلام عنها ولدها ما يبرئ من ساحتها»[6]، والصوم لغةً هو الإمساك عن الطعام والشراب

وكلام ابن مسعود (ت٣٢هـ) في حال إيضاح أنَّ الصوم في الآية يقصد به الصمت، ولا فرق بينهما من حيث المعنى وهذا المعنى متّفق عليه عند المفسرين.

وهناك نماذج عديدة وقفنا عليها خلال البحث والتحقيق لا يسع المجال لاستقصائها أعرضنا عنها تجنبًا للإطالة واكتفينا بهذا المقدار.

نتيجة البحث

توصلنا عبر البحث والتحقيق إلى نتيجة مفادها: أنَّ الصحابة اهتموا بالقرآن الكريم، وأثروا الساحة الإسلامية بحصيلة عملهم في بيان معانيه التفسيرية، وأنَّ الصحابي ابن مسعود (ت٣٢هـ) له مكانة علمية خاصة في تفسير وبيان المفاهيم القرآنية، والقراءات الشاذة لها أثر واضح في بيان المعاني التفسيرية والمفاهيم اللغوية، ويظهر أثرها في بيان

(١) سورة ص، الآية: ٢٣.
(٢) فقه القرآن، قطب الدين الراوندي سعيد بن هبة الله، ٢ / ١٢.
(٣) معاني القرآن الكريم، النحاس، ٦ / ٩٨.
(٤) سورة مريم، الآية: ٢٦.
(٥) تفسير البحر المحيط، ٦ / ١٧٦.
(٦) التبيان في تفسير القرآن، ٧ / ١٢١

معنى لغوي أو توضيح إبهام أو دفع توهم ، ورفع التباس أو وضوح حكم فقهي ، أو التعرض لسبب النزول؛ لذا يمكن الاستعانة بها وجعلها منهجا ، أو وسيلة من الوسائل التي يعتمدها المفسّر في العملية التفسيرية ، ولا نجزم ونقول جميعها من هذا القبيل فلابد من استخراجها من بطون الكتب وتصنيفها ، والتحقق منها ومعرفة مدلولات معانيها ، ثم نتخذ موقفًا نهائيًا تجاهها وهذا يتطلب مزيدًا من الجهد والوقت لذا نقول : أنَّ الأغلب الذي بحثنا فيه وحققناه هي معاني تفسيرية ، والله العالم آملين أنْ تكون هذه المقالة منطلقًا للوقوف على القراءات الشاذة ودراستها على أساس علمي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكَّلتُ وإليه مَتاب.

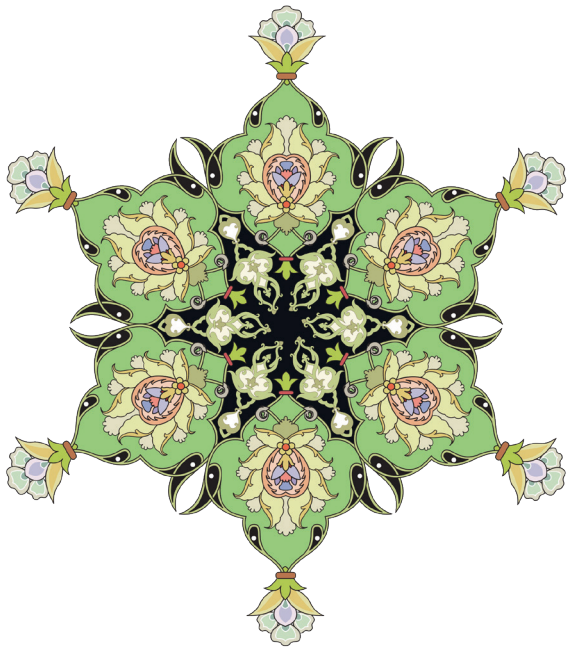

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، بيروت، ط١، الناشر: دار الفكر، ١٩٩٦م.

٣. الاستذكار، ابن عبد البر المالكيّ، يوسف بن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا محمد علي معوض، بيروت، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

٤. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، علي بن الحسن، بيروت، الناشر: دار الفكر، ١٤١٥هـ.

٥. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد، تحقيق: علي محمد معوض، بيروت، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م.

٦. أنساب الأشراف، البلاذريّ، أحمد بن يحيى، تحقيق: د. محمد حميد الله، القاهرة، الناشر: معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ١٩٥٩م.

٧. التبيان في تفسير القرآن، الطوسي، محمد بن الحسن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العامليّ، ط١، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩هـ.

٨. تفسير الأعقم، الأعقم الزيديّ، أحمد بن علي، صنعاء، ط١، طبع في دار الحكمة اليمانية، ١٤١١ هـ.

٩. تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، بيروت، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م.

١٠. تفسير العياشي، العياشي، محمد بن مسعود، تحقيق: الحاج السيد هاشم الرسوليّ المحلاتيّ، طهران، الناشر: المكتبة العلمية الإسلامية، ١٤٢١هـ.

١١. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم)، ابن أبي حاتم الرازي، عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: أسعد محمد الطيّب، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٣ م.

١٢. التفسير الكاشف، مُغنيَّة، محمد جواد بن محمود، بيروت، ط٣، الناشر: دار العلم للملايين، ١٩٨١م.

١٣. دعائم الإسلام، القاضي المغربي، النعمان، القاهرة، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الناشر: دار المعارف، ١٩٦٣م.

١٤. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، القرطبي، محمد بن أحمد، بيروت، طبع ونشر: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م.

١٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسيّ، محمود بن عبد الله، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ .

١٦. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزيّ، عبد الرحمن بن علي، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن، القاهرة، ط١، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧ م.

١٧. أحكام القرآن، ابن العربي، محمد بن عبد الله، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، لبنان، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر.

١٨. التسهيل لعلوم التنْزيل، ابن جُزيّ الكلبي، محمد بن أحمد، تحقيق: د. عبد الله الخالديّ، بيروت، ط١، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، ١٤١٦ هـ .

١٩. سعد السعود، ابن طاووس، على بن موسى، قم المقدَّسة، الناشر: منشورات الرضي، ١٣٦٣ش.

٢٠. السنن الكبرى، البيهقيّ، أحمد بن الحسين، بيروت، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر.

٢١. سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت، ط٢، الناشر: دار الفكر، ١٩٨٣م.

٢٢. جواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبيّ، عبد الرحمن بن محمّد، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد، بيروت، ط١، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ .

٢٣. سير أعلام النبلاء، الذهبي، محمد بن أحمد، تحقيق: حسين الأسد، بيروت، ط٩، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.

٢٤. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، قم المقدَّسة، ط٢، الناشر: طليعة النور، ١٤٢٧هـ .

٢٥. البرهان في علوم القرآن، الزركشيّ، محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دمشق، ط١، الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابيّ الحلبي وشركاه، ١٩٥٧م.

٢٦. الشافي في الإمامة، الشريف المرتضى، علي بن الحسين، تحقيق: السيد عبد الزهراء الحسيني، طهران، ط٢، الناشر: مؤسسة الصادق، ١٤١٠ هـ .

٢٧. شرح صحيح مسلم، النووي، يحيى بن شرف، بيروت، الناشر: دار الكتاب، ١٩٨٧م.

٢٨. صحيح مسلم، النيسابوريّ، مسلم بن الحجاج، بيروت، الناشر: دار الفكر، ٢٠٠٦م.

٢٩. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، الحاكم الحسكانيّ، عبيد الله بن أحمد، قم المقدَّسة، ط١، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر، ١٩٩٠م.

٣٠. كتاب العين، الخليل الفراهيديّ، الخليل بن أحمد، تحقيق: د. مهدي المخزومي، قم المقدَّسة، ط٢، الناشر: مؤسسة دار الهجرة، ١٤٠٩هـ.

٣١. البيان في تفسير القرآن، الخوئيّ، أبو القاسم بن سيد علي أكبر، بيروت، ط٤، دار الزهراء، ١٩٧٥م.

٣٢. صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل، إستانبول، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١م.

٣٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، بيروت، ط١، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر.

٣٤. فتح القدير، الشوكانيّ، محمد بن علي، المطبعة: عالم الكتب، الناشر: عالم الكتب.

٣٥. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيرازي، ناصر مكارم، قم المقدَّسة، ط١، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ١٤٢١هـ .

٣٦. فقه القرآن، قطب الدين الراونديّ، سعيد بن هبة الله، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، قم المقدَّسة، ط٢، الناشر: مكتبة آية الله العظمى النجفيّ المرعشيّ، ١٤٠٥هـ .

٣٧. تفسير القميّ، القميّ، علي بن إبراهيم، تحقيق: السيد طيب الموسوي الجزائري، قم المقدَّسة، ط٣، الناشر: مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر، ١٤٠٤هـ .

٣٨. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المتقي الهندي، علي المتقي بن حسام الدين، تحقيق: الشيخ بكري حياني، بيروت، الناشر: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩م.

٣٩. بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، طهران، ط١، الناشر: مؤسسة الطور للنشر، ١٤١١هـ .

٤٠. القرآن الكريم وروايات المدرستين، العسكري، سيد مرتضى، بيروت، الناشر: مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.

٤١. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، أحمد بن محمد، تحقيق: أبو محمد بن عاشور، بيروت، ط١، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٢م.

٤٢. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجَوْهَري، إسماعيل بن حَمَّاد، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، بيروت، ط٤، الناشر: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

٤٣. كنز العرفان في فقه القرآن، السيوريّ، المقداد بن عبد الله، تعليق: محمد باقر شريف زاده، طهران، الناشر: المكتبة المرتضوية، ١٣٨٤هـ .

٤٤. مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، تحقيق: الدكتور محمد فؤاد سزگين، مصر، ط٢، الناشر: مكتبة دار الفكر، ١٩٧٠م.

٤٥. المجازات النبوية، الشريف الرضي، محمد بن الحسين، تحقيق: طه محمد الزيتي، قم المقدَّسة، الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي، بدون تاريخ.

٤٦. المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات، ابن جني، عثمان بن جني، الناشر: وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٩٩م.

٤٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، بيروت، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣م.

٤٨. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سِيدَه، علي بن إسماعيل، تحقيق: عبد الحميد الهنداويّ، بيروت، ط١، الناشر: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

٤٩. المحلّى، ابن حزم، علي بن أحمد، طبعة مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر، بيروت، الناشر: دار الفكر، بدون تاريخ.

٥٠. مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي، تحقيق: حسين سليم أسد، دمشق، الناشر: دار المأمون ١٩٨٩م.

٥١. مسند أحمد، ابن حنبل، أحمد بن حنبل، بيروت، ط١، الناشر: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.

٥٢. مسند البزار المسمى (البحر الزخار)، البزار، أحمد بن عمرو، المدينة المنورة، ط١، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، ٢٠٠٩م.

٥٣. معاني القرآن الكريم، النحاس، أحمد بن محمد، تحقيق: محمد علي الصابوني، مكة المكرّمة، ط١، الناشر: جامعة أم القرى، ١٤٠٩هـ .

٥٤. المعجم الكبير، الطبراني، سليمان بن أحمد، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، بيروت، ط٢، الناشر : دار إحياء التراث العربي.

٥٥. مكارم الأخلاق، الطبرسيّ، الفضل بن الحسن، ط٦، الناشر: منشورات الشريف الرضي، ١٩٧٢م.

٥٦. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: الشيخ خليل الميس، بيروت، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥م.

٥٧. مجمع البحرين، الطريحيّ، فخر الدين بن محمد علي، طهران، ط٢، الناشر: مرتضوي، ١٣٦٢ش.

٥٨. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، قم المقدَّسة، الناشر: مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ .

٥٩. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م.

٦٠. السيرة النبوية، ابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، الناشر: مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، ١٩٦٣م.

٦١. مفاتيح الغيب (تفسير الرازي)، الفخر الرازي، محمد بن عمر، بيروت، ط١، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٦٢. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، محمد بن على، النجف الأشرف، طبعه محمد كاظم الكتبيّ، طبع في المطبعة الحيدرية، ١٩٥٦م.

٦٣. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، محمد حسين، قم المقدَّسة، طبعة محققة ومصححة، الناشر: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ١٤١٢هـ.

٦٤. النشر في القراءات العشر، ابن الجَزَرِيّ، محمد بن محمد، أشرف على تصحيحه ومراجعته: علي محمد الضباع، بيروت، الناشر: دار الكتب العلمية.

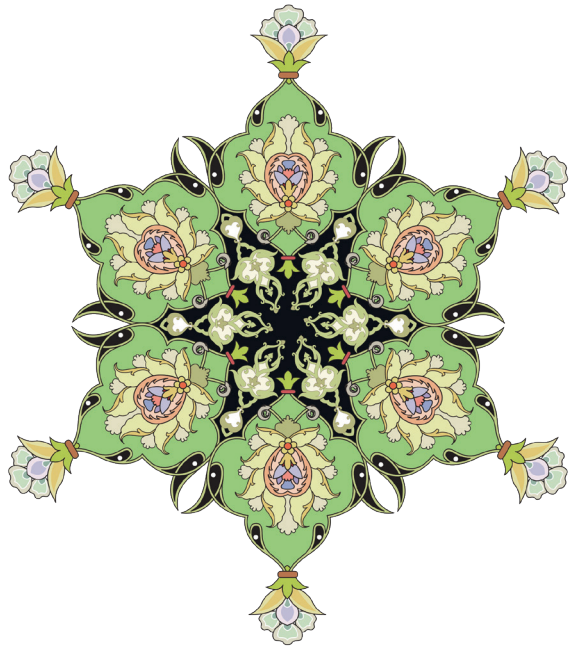

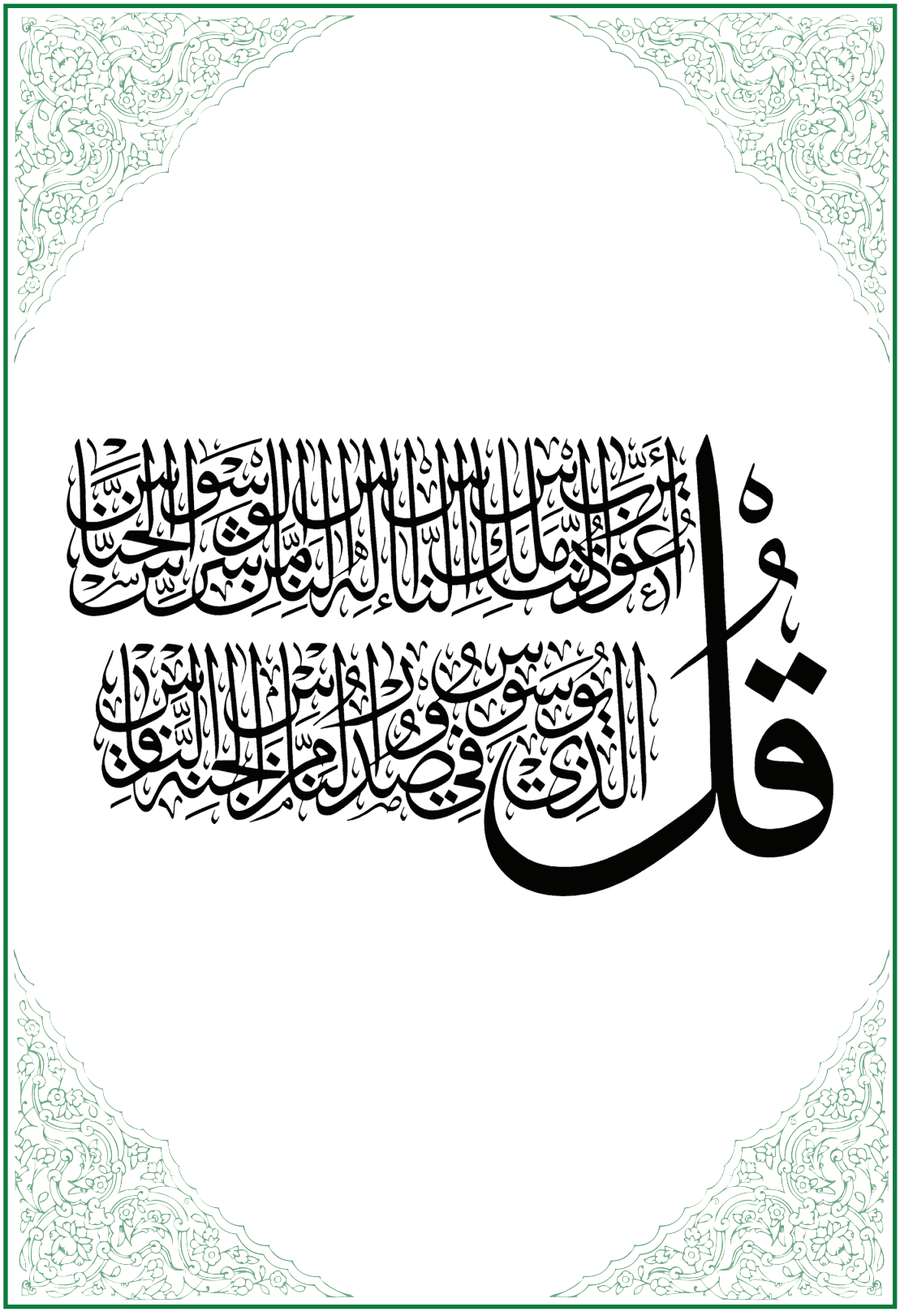
قل
أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس
الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس